الأبنية الفكرية

الجامعة لثوابت الطريقة العلوية الحسينية
المتفرعة من حضرموت إلى مجموع البلاد الإسلامية

الطبعة الثانية
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

منهجنا (٥)

الأبنية الفكرية

الجامعة لثوابت الطريقة العلوية الحسينية المتفرعة من حضرموت إلى مجموع البلاد الإسلامية

بقلم

خادم السلف

أبي بكر العدني ابن علي بن أبي بكر المشهور

بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني..

﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ
أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾
ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ
فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾
فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ
رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾

[آل عمران:٧٢-٧٤]

شاهد الحال..

قال السيد العلامةُ محمد بن أحمد بن جعفر الحَبشِي:

الشريعة تتبع من غير إفراط ولا تفريط ،وأئمة ساداِتنا بني علوي سلكوا محجتها البيضاء وطريقها السمحاء العلياء ، ولا أحد منهم ينسب إلى تحريف أو تخريف أو ركوب غير الأحوط فيها ،ومن اخترع مهيعاً لنفسه خصوصاً من أولادهم وارتضى غير ما سلكوه فآخر عمره إلى الخيبة والانحطاط ، ولا يرفع له ما يرفع لهم من منار ، ووكِلَ إلى نفسه . فمن تبعهم سلـم ، ومن خالفهم ندم، والأدب معهم طريقة ، واتباعهم حقيقة،ولا تخالف بواطنهم ظواهرهم، فكيف يكون حال من ادعى أنه عثر على ما لـم يعثروا عليه ،وأن الصواب غير ما جنحوا إليه وأشاروا إليه ؟ مع أننا نعتقد أ م وآحادهم لـم يأت أحد ما ينقم عليه ، وحاشاهم أن يركبوا هوى أو يسلكوا غير السبيل السوي ،وهم المشار إليهم أ م أهل السواد الأعظم والسنة والجماعة ،التي نوه ا وبنجاة أهلها صاحب الشفاعة ،صلى الله عليه وآله وسلـم. وإنا بحمد الله لا نجد ميلاً ولا رغبةً إلى غير اقتفائهم ، ولا نغبط من جاء على غير ولائهم ، ولو ظهر منه ما ظهر ، واشتهر عنه ما اشتهر ، وإن وافق الصواب، وعمل بالكتاب ، ولا نعاديه ولا ننكر عليه ولا نخطئه ؛ لأن الطرق إلى الله على عدد أنفاس الخلائق » .

«العلـم النبراس في التنبيه على منهج السادة الأكياس» للسيد عبدالله بن علوي العطاس ص٢٦ .

الإهداء..

إلى شبابِ الدعوةِ..

أملِ المستقبلِ..

حملَةِ الرايةِ بثوابتها المحليةِ والعالـميةِ..

أحفادِ الإمامِ المهاجرِ..

وأتباعِ الأستاذِ الأعظمِ ، الفقيهِ المقَدمِ..

وإلى كافةِ منسوبيهم ومحبيهم في العالـم كله..

إليكم هذِهِ ((الأبنيةَ الفكريةَ))..

المؤلف

المقدمة

الحمد للّه عاصم من يشاء عن الفتن الماحقة، والبلايا الساحقة، له الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر اللّه، ينصر من يشاء، والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا القدوة الحسنة سيدنا محمد بن عبد اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه الكرام، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين .

وبعد ؛ فتأمل معي أيها الراغب في منهج السلف وفهم قاعد م الثابتة المتوارثة عبر تسلسل دعو م المباركة في وادي حضرموت، وما تفرع من مدارسها، وانتقل من رجالها الأئمة الزهاد العباد، إلى كافة النواحي والبلاد، تأمل ما يقوله أحد سلفنا ا مع على سلامة منهجهم، وال ـ ممثل لطريقهم، وال ـ منافح عن شرفهم وحرمتهم، حول ما يقع فيه بعض شواذ المنتسبين لـ ـ مدرسة السلف بالنسب[1] :

وأما السيد الفاضل ((فلان)) تبلغني عنه أخبار لا أستحسنها منه ولا أرضاها له ولا كنت أظن أ ا تظهر منه، وهي مساعدةٌ للـ ـ متظاهرين بالبدعة، وما ذلك بعجيبٍ في هذا الزمان، الذي أحواله تشِيب الولدان، وما كنت أحسب ذلك القلب السليم ، والعقل المستقيم، أن ينخدع بأقاويل وأضاليل من عدلوا

---

(١) من مكاتبة أرسلها الحبيب علي بن محمد الحبشي إلى أخيه شيخ وهو بجاوة ضمنها وجهة نظره ووردت في آخر كتاب ((تنوير الأغلاس)) .

عن أقوم سبيل، وفارقوا أشرف جيل، ولنا في السلف الصالح من المتقدمين والـمتأخرين أعظم أسوة، وأشرف قدوة، ومن ادعى أن عقيدةَ أولئك السلف زائغة ؛ فقد أخطأ الطريق ولله الحجة البالغة.

وقد كنت وددت أن لا أكتب هذا الخطاب، في هذا الكتاب ؛ ولكن اتساع الخَرق في هذا الشان، وانتشار اللقالق والهذيان، بين أهل هذا الزمان، أثار مني الغيرة القوية، على سورِ مقاماتِ العصابةِ العلَوية، والله يهدي الفروع إلى طريقة أسلافهم، ويحفظهم من التظاهر بخلافهم .

وأعتقد أن القلب المحمدي يسوؤه الوقوع في أصحابه، والدخول على الله من غير بابه، وهذه بعض إشارةٍ ذَكروا ا ((فلانَ بن فلان)) في خفْيةٍ لعل يتذكر، فإن الذكرى تنفع المؤمنين .

وهذه الأخبار مما كدرت حالي وأنغصت علي عيشي، فإني لا أحب لإخواني العلويين ؛ إلا سلوك سبيل أسلافهم الصالحين، وتقليدهم فيما بلغهم عنهم من علوم وأعمال واعتقاد، فإ م - كما يعلـم الله - حزب الرشاد، وخلفاء خير العباد . فكن يا أخي على حذر من مجالسة المتظاهرين، ذا الاعتقاد المشين، ولا يقرع سمعك من ذلك الجهل كلـمةٌ تفَوهوا ا في محاورا م، أو دونوها في مكاتبا م، فإن داءَ البدعة دأءٌ معضلٌ لا يكاد ينجح فيه دوا، وأقوى مادتِه من الهوى، والله يقول في كتابه : {أفَرأيت من اتخذَ إلهَه هواه وأضله الله على عِلـم}..إلخ المكاتبة .

وبمثل هذه المكاتبة وشبهها تتضح غيرةُ الشيوخ من بني علوي على أبنائهم وأحفادهم إذا هم رغبوا في استتباع كل ناعق، أو استحسنوا ما لم يستحسنه أئمتهم ورجالهم، ونجد أن هولاء الشيوخ في كل عصر ومرحلة يلزمون الأبناء والأحفاد باتباع رجال مدرستهم المتفردة، مدرسة الإمام المهاجر والفقيه المقدم، ويحذرونهم من مغبة الاستتباع والانصياع للضد أو المخالف حرصاً من هؤلاء الرجال على سلامة المعتقد ومتانة المبدأ، وصدق الاقتفاء للمتبوعِ الأعظم حامل راية الأخلاق النبوية، القائل لأولئك القوم الغارقين في أذاه ومضايقته ومنازعته يوم قدر عليهم عام الفتح : «اِذْهبوا فأنتم الطلَقاءُ» .

لقد حملت مدرسة المهاجر والفقيه والسقاف والمحضار والعيدروس والحداد وغيرهم من أئمة أهل البيت عالميةَ الدعوة وإمامة المصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلم، بعيدةً كل البعد عن الأهواء والتعصب المقيت، داعيةً إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة، تاركةً جيفة الحياة الدنيا ومناصبها ومراتبها التي يتنازع عليها البر والفاجر دون أسف عليها أو تطَلعٍ مهينٍ إليها، فكان أن جاءت إليهم صاغرةً راغمةً، فعاشوا سعداء ، وماتوا سعداء، وتركوا لمن بعدهم محجةً بيضاء ، ليلُها كنهارها ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلَك .

فهل من مستبصر؟ ولا بلاغ إلا باللّه..

المؤلف

منهج السادة بني علوي بحضرموت والعالـم

اعلـم أيها الراغب في معرفة الحق وأهله أن كل من انطوى من السادة بني علوي ومنسوبيهم تحت راية مدرستهم فإن عليه أن يعلـم علـم اليقين أن هذه المدرسة لها ثوابتها ومبادئها الفكرية المميزة لها عن كافة المناهج الأخرى، والـمقصود بالـمبادئ الفكرية ثوابت الطريق التي رسمها رجالها في سبيل البلوغ إلى السلامة في الدارين .

وكما تستند النسبة العرقية وترتقي في تسلسلها إلى الأب الأول صلى الله عليه وآله وسلـم ؛ فإن النسبة الفكرية أيضا تستند وتترقى في تسلسلها إلى مصدرها الأول في الشريعة صلى الله عليه وآله وسلـم، حيث إن واضع هذه المبادئ هو الإمام المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلـم [١]، ومرسخ مدرستها ووجهتها العالـمية والـمحلية الإمام والأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي كما سيأتي في لاحق إيضاحات هذه الرسالة .

---

(١) راجع مشجرات الأنساب وتراجم آل البيت للتعرف على صحة تسلسل هذا النسب الباذخ وتراجم هولاء الأئمة الكرام .

مخطط التسلسل الفكري لأئمة آل البيت

اِنتِقالُ الإمامِ المهاجِرِ والتحولات الفِكْرية

يجمع المؤرخون على إطلاق لقب المهاجر على شخصية الإمام أحمد بن عيسى منذ انتقاله من أرض الرافدين إلى حضرموت، وكما اختص الإمام المهاجر وتفرد بهذه التسمية اللامع عليها برغم كثرة المهاجرين من مواطن الفتن وعواصم الحركة من إخوانه آل البيت وبني عمومته فإنه أيضا تفرد بمنهجٍ ثابتٍ ومدرسةٍ نبويةٍ ذاتِ أبعادٍ وأهدافٍ عرفها العالــم كله، وبلغت دعوة رجالها إلى أصقاع المعمورة مجردةً عن أي لقبٍ أو نسبةٍ أو مذهبٍ أو فكرةٍ أخرى غير لقبها ونسبتها ومذهبها وفكرها التي أُنشئت في حضرموت أو انتشرت منها بذات المسمى والنسبة والمدرسة في العالــم كله .

وإذا كانت عاطفة بعض المؤلفين أو المؤرخين تنساق لسبب أو آخر للتضحية عبر الأقلام والمؤلفات بهذه المدرسة، ناسبةً إياها أو ناسبةً بعض رجالها إلى مذاهب أخرى ذات موقع في العالــم الإسلامي ؛ فإن شواهد الأحوال ومؤلفات الرجال ونماذجهم الحية ومدرستهم وطريقتهم العالــمية تأبى ذلك وترقى وتتعالى عن مثل هذا الإسفاف الرخيص، وترده في نحرِ متقَوليهِ أياً كان حجم واقعهم الفكري أو الاجتماعي ؛ لأن الافتراء والكذب لا تقوم به أمةٌ ولا مذهب ولا جماعةٌ، وعصرنا هذا هو عصر ترويج الأكاذيب واللعب بها في سبيل خدمة المصالح الذاتية والخارجية، ولهذا صار حملَةُ الأقلام أو بعضهم يتجاوزون حدود الأدب الشرعي، ويروجونَ

في عامة المسلـمين مفاهيم وآراءاً خاطئةً تبعاً لـما تمليه المصالح والـمواقف الشخصية، ومنها ترويج الأكاذيب عن مدرسة « بني علوي » في حضرموت والعالـم، بغرض تقديم هذه المدرسة هديةً سخيةً لأطراف الصراع في العالـم .

وقد عانت « مدرسة السادة الحسينيين بحضرموت » من هذه السعايات والدعايات والهجمات شيئاً كثيراً على أيدي الغزاة العالـميين وأتباعهم المحليين، وضربت رؤوس الدعاة والعلـماء والأولياء في ساحات اليمن قرباناً لعالـمية اليهود والنصارى، والتاريخ القريب أعظم شاهد على الأحوال والأقوال، ولا زالت آثار هذه الهجمات المنظمة رسمياً شبحاً ماثلاً للعين حتى اليوم .

وكما انتقل الإمام المهاجر من العراق هارباً بدينه وأولاده من الفتن[1] فقد انتقل العشرات من أحفاده إلى كثيرٍ من بلاد العالـم هروباً بدينهم من فتنة الإلحاد والشيوعية في الماضي القريب .

---

(١) كتب العلامة المؤرخ الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري في كتابه ((أدوار التاريخ الحضرمي)) حول نشأة الإمام المهاجر فقال : نشأ المهاجر بين آبائه وأعمامه من أئمة ونقباء وعلـماء في بيئة تزخر بالعلـم والنبل والفضل ، وفي بلد تموج بكبار العلـماء، فدرس العلوم الإسلامية والعلوم العقلية على أولئك وتثقف بثقافة أهل ذاك العصر ، وقد أجمع المؤرخون على تقاه وصلاحه . عن « أدوار التاريخ » باختصار .

وسمي بالـمهاجر لأنه هاجر من البصرة سنة ٣١٧ ووصل حضرموت مارا بالحجاز سنة ٣١٨ على أرجح الأقوال وبرفقته بعض مواليه وبنو عمومته كجد

ومن حيثـما نزلوا أقاموا قواعد مدرستهم العالـمية شامخةً عاليةً لا ينتسبون لنظامٍ ولا حزبٍ ولا جماعةٍ ولا مؤسسةٍ، وإنما نسبتهم للّه ورسوله وأهل بيته والـمنهجهم الراسخ في تخوم الأرض، { ومثَلُ كلـمةٍ طيبةٍ كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابت وفَرعها في السماءِ تؤتي أكُلَها كُل حينٍ بإذن ربها } .

الأهادلة وجد آل القديمي متجهين إلى المدينة من طريق الشام ؛ لأن الطريق إلى مكة والـمدينة من العراق كانت مضطربة الأمن آنذاك ، ومكث بالـمدينة حتى موسم الحج فحج والحجر الأسود قد نزعه القرامطة وأخذوه معهم، وفي الحج التقى الإمام المهاجر بجملة من ((آل حضرموت))فزينوا له السفر إليهم، فاتجه بعد الحج إلى اليمن واختار السيد محمد بن سليمان بن عبيداللّه بن عيسى بن

علوي بن محمد بن ضمحام بن عوف ابن الإمام موسى الكاظم الا ول في وادي سهام كما اختار السيد القديمي جد آل القديم الا ول في وادي سردد ، وواصل الإمام المهاجر رحلته إلى وادي دوعن فـ ل في ((الجبيل)) ثـم انتقل إلى ((الهجرين)) وبرز هناك علـماً مصلحاً ، وأخذ يناظر أهل البدع ويوطن أهل السنة على قبول التفاهم بالعلـم والحجة ، حتى أصلح اللّه به الفريقين وساروا تحت ظله، وانتقل إلى ((الحسيسة)) و ا أقام بقية حياته داعياً إلى اجتماع الكلـمة وموطداً مدرسة الكتاب والسنة على منهج أهل السنة والجماعة ، وكان المهاجر مجتهداً في الأصول فرجح لحضرموت المنهج السائد ، وساهم في نشره، حتى ظهر مذهب الإمام الشافعي فارتضاه أبناؤه وأحفاده من بعده مذهباً في الفروع ، توفي الإمام المهاجر في ((الحسيسة)) سنة ٣٤٥ ودفن ا ، وقبره معروف ا إلى اليوم.

مذْهب الإِمامِ المهاجِر

ِاختلفت آرأُ المؤرخين في مسألة المذهب الذي كان يحمله الإمام المهاجر معه إبان وصوله إلى حضرموت وإقامته ا [1] ، والحقيقة التي لا غبار عليها أن شاهد الحال وموقف الواقع ومجريات الأحداث ونتائج المواقف التي بنى عليها الإمام المهاجر مدرسته ومدرسة حضرموت كلها منذ وصوله خير شاهد على المذهب والــمنهج من عصره إلى عصر الفقيه المقدم إلى من جاء من بعده إلى عصر التحولات السياسية العالــمية[2] .

فإذا كان المهاجر قد جاء من العراق يحمل مذهباً بعينه فالواقع والــمدرسة والــمنهج الذي أرساه المهاجر للعالــم كله يلزم الموافق والــمخالف أن يدرك بيقينٍ أن الإمام المهاجر أرسى منهج النبوة المحمدية،

---

(١) لــم نتعرض هنا لنقل أقوال العلــماء واختلافهم ؛ لأننا في أمس الحاجة إلى تجاوز المنازعات القلــمية والــمماحكات الفكرية إلى قراءة الواقع وتعميد مجرياته، وبإمكان الراغب في ذلك أن يرجع إلى الكتب المتداولة حول هذه المسائل .

(٢) وضع فرع الدراسات التابع لرباط التربية الإسلامية بعدن بحثا مستفيضا حول هذه المسألة ، ولأهمية هذا البحث من جهة ولأجل اطلاع القارئ على ما يمكن الأخذ به في هذا الأمر من خلال دراسة علــمية ذات منحى أكاديمي، نحيل القارئ إلى هذه الدراسة التي ألحقناها بآخر الكتاب ، والدراسة تحت مسؤولية الفرع ولا علاقة لها بما طرقه المؤلف هنا. فرع الدراسات وخدمة التراث

وخدم العالـم الإسلامي بكتاب اللّه وسنة رسوله صلى اللّه عليه وآله وسلـم من منظور عالـمية جده المصطفى المبعوث للطوائف كلها، وهذا هو مفهوم الإمامة في « مدرسة بني علوي »، ولـم يثبت نصاً ولا نقلاً شفوياً ولا استئناساً عائلياً أن المهاجر أبرز لحضرموت مدرسةً معينةً وأخفى في قلبه لذاته أو لبنيه وأحفاده مدرسةً أخرى من باب التقية كما يقال ، وانقطع الرجاء منذ زمنٍ بعيدٍ في هذه المسألة وصارت حضرموت بكافة أجنحتها الفكرية يستظلون بالإمامة[1] العالـمية إمامة المصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلـم واضع أسس الشريعة وآدا ا، وإمامة المصطفى وعالـميته أبرزها الإمام المهاجر بعِلـمه وعمله وخلُقه النبوي، لا بعصبيته لـمذهبه إن كان - كما يقال - جاء بمذهب معين، وساد الأمان

---

(١) تعارف المؤرخون والـمصنفون على إطلاق الإمامية على المذهب الاثني عشري المعروف في كثيرٍ من بلاد الإسلام، وهو مذهب منسوب للإمام جعفر الصادق ابن محمد الباقر، ويجري به العمل في بعض البلاد الإسلامية كغيره من المذاهب الأخرى، وتعرف مدرسة الإمام المهاجر - وهي مدرسة الإمام الفقيه المقدم، والـمسماة بـ« طريقة آل أبي علوي بحضرموت » - الإمامةَ بأ ا مرتبةٌ ومقام يبلغ إليه الواصلون من آل البيت النبوي يضارع رتبة الاجتهاد عند علـماء الأصول، فكما يقال للأصولي البارع: مجتهد فإنه يقال للشريف الواصل العالـم العامل: إمام، ومن بلغ إلى هذه الرتبة يحق له إرساء القواعد العلـمية والعملية والاجتماعية من منظور الفهم الشرعي للأصول والـمصادر التشريعية وهي كتاب اللّه وسنة نبيه صلى اللّه عليه وآله وسلـم .

والسكون في حضرموت كلها تحت منهج الإسلام وإمامة المهاجر وفقه الكتاب والسنة بما يتلائم مع المكان والزمان، فهل يكون مثل هذا الإبداع العظيم خطأً ومخالفةً، يا للعجب !

لقد صان الإمام الحسن بن علي دماء المسلـمين بموقفٍ ، وهذا الإمام المهاجر قد صان دماء الأمة بموقفٍ آخر، ولنا أن نقول: أيكون التعصب للـمذهب ملْزماً ـإمامِيته بمفهومِ المذهبيين أم يكون الحق الماثل للعيان يلزم الابتهاج بإمامةِ مجتهدٍ قاد الأمة إلى بر السلام والأمان بخلق جده ومنهج كتاب اللّه وسنة نبيه محمد صلى اللّه عليه وآله وسلـم ؟

هذه عالـميتنا، وهذه إمامتنا، ولا نعيب على متمذهبٍ مذهبه بل نحييهِ، ونؤمِن أنّ المذهبية فرع من منهج النبوة .. والعالـم الإسلامي يزخر بالـمذهبية، كما يزخر في مواقع أخرى بـ ((اللامذهبية)) تبعاً لواقع الصراع المدسوس على هذه الأمة المغلوبة على أمرها [1] .

إن ارتقاء وعِينا في تفسير المواقف التاريخية يسهم في معالجة الجراح النازفة في جسد هذه الأمة، كما أن إسفاف وعينا في تفسير المواقف التاريخية يعمق الجراح ويمزق الجسد المتداعي، وما تمكن العدو العالـمي من بسط يده والجلب علينا بخيله ورجِله إلا من داخل هذه المتناقضات وتعميقها، ومكمن

---

(١) العبارة يقصد منها الصراع المدسوس تحت شعار ((لا مذهبية)) ، وهي دعوة فاشية اليوم في العالـم الإسلامي وجامعاته ومناهجه .

العافية في تقارب آرائنا على القواسم العالـمية الإسلامية المشتركة، القواسم التي يرتقي إليها وعي العلـماء قبل الدهماء، وما مصيبة الأمة اليوم إلا في تعصب العلـماء واندراج عقولهم تحت مظلات الفتن .

فهل مِن إمامٍ كالـمهاجرِ[1] ؟ وهل من مهاجرٍ كالـمصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلـم إمام هذه الأمة وشفيعها ؟ اللّهم قنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وإذا أردت بعبادك فتنةً فاقبضنا إليك غير مفتونين .

(١) قد ترجمنا للإمام المهاجر في رسالة مستقلة تأتي ضمن سلسلتنا ((أعلام حضرموت واليمن))، وهي تحت الطبع .

تسلسلُ النسبِ العِرقيةِ لبني علَوي بحضرموت

تنتسب بيوت السادة « بني علوي » الحسينيين القاطنين بوادي حضرموت اليوم ومن تفرع منهم في العالـم إلى السيد علوي بن عبيدالله ابن أحمد المهاجر، وهو الابن الوحيد من بين ذرية عبيد الله بن أحمد الذي بقيت ذريته متسلسلة إلى اليوم، فالإمام عبيدالله بن أحمد له من الذرية بحضرموت ثلاثة، وهم :

بصري [1]، وجدِيد، وعلَوي

فأما بصري وجديد فأعقبا ذريةً بحضرموت وغيرها تسلسلَ انتشارها حتى أوائل المئة السابعة من الهجرة، ثـم لـم يبق من هذه الذرية أحد كما هو مثْبت ومقَرر في مشجرات آل باعلوي وتراجمهم .

كتب مؤلف « غُرر البهاء الضوي » : ثـم إنّ بني جديد [2] انقرضوا كبني بصري وآخر موتاهم امرأةٌ بزبيد اسمها « جديدة » .

---

(١) « بصري » نسبةٌ للبصرةِ التي ولد بها، واسمه إسماعيلُ، وجاء إلى حضرموت بصحبة والده وجده سنة ٣١٨ ، ومن ذريته الإمام سالـم بن بصري المتوفى عام ٦٠٤ بتريم ، كان من رجال الحديث والأصول، وعلـماً من أعلام التقوى والولاية .

(٢) بنو جديد ظهر منهم عدد من العلـماء والـمحدثين،منهم السيد علي بن محمد بن جديد المترجم له في غالب تراجم بني علوي، وترجم له الجَنَدِي وابن سمرة في ((الطبقات))، ووصف بأنه من كبار رجال الحديث، رحل إلى الحرمين وطلب

وأما علوي بن عبيدالله فولد له عدد من الذرية تفرعت منها بيوت بني علوي المنتشرة بحضرموت واليمن والحجاز ومصر والخليج وإندونيسيا وشرق إفريقيا والهند وسيلان وغيرها من البلاد .

وقد تحققت نسبة السادة بني علوي إلى أصولهم المباركة خصوصاً بعد أن رحل الإمام علي بن جديد إلى العراق لهذا الغرض، كتب الشيخ بامخرمة في «قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر» : أنه لـما قدم أحمد بن عيسى اعترف له أهل حضرموت بالفضل وما أنكروه، ثـم إ م بعد ذلك أرادوا إقامة البينة توكيداً لـما ادعوه، وكان بتريم إذ ذاك ثلاث مئة مفت، فسار الإمام المحدث علي بن محمد بن جديد إلى العراق وأثبت ذلك النسب وأشهد عليه نحو مئة عدلٍ ممن يريد الحج ثـم أثبته مرةً أخرى بمكة وأشهد على الإثبات جمعاً ممن حج من الحضارم، وقدم هؤلاء الشهود في يوم معلوم وشهدوا على رؤوس الأشهاد بإثباته[1].

العلـم ودخل إلى الهند والعراق وزار عدن وأطرافاً من اليمن، وأخذ عنه الحديث جملةٌ من العلـماء، وحقّق النسبةَ الشريفة وأثبتها، ذَكر ذلك بامخرمة في «قِلادةِ النحرِ»، وقد ذكر له الإمام السخاوي جزءاً حديثياً روى فيه أربعين حديثاً في فضائل الأعمال، ولا زال مخطوطاً . وقد ترجمنا لبني جديد في رسالة مستقلة لطيفة تحت الطبع.

(١) عن كتاب « الإمام المهاجر » ص٦٥-٩٧ للسيد ضياء شهاب .

وكتبت مجلة الرابطة العلوية (٣: ٢٣-٩٥) حول تحقيق نسب بني علوي: ومكانةُ المهاجر ووجود أسرة له وأقارب بالبصرة وبقاء ابنه محمد على أمواله وكذلك أبنائه علي والحسين، وذهاب حفيده السيد جديد بن عبيداللّه للنظر في تلك الأموال وزيارة الأقارب، ثـم ذهاب السيد علي بن محمد بن جديد ومسارعة العدول العراقيين إلى الشهادة على صحة النسب واستثـمار الأبناء والحفدة بحضرموت من ريع أموالهم بالعراق سنين طويلة، ووجود إخوان وبنو أعمام للسيد المهاجر بالعراق والصلات المستمرة بينهم، ووجود السادة الأهادلة وبني قديم باليمن ؛ كل ذلك دليلٌ على ثبوت النسب وشهرته .

وإضافةً إلى ما ذُكر فعلـماء الأنساب والتاريخ قد اهتموا أيضا بتحقيق ذرية الإمام المهاجر وسلسلتهم الشريفة ومنهم :

١- العلامة أبو النصر سهل بن عبد اللّه البخاري في كتابه « سر السلسلة العلوية » ت ٣٤١ .

٢- النسابة أبو الحسن نجم الدين علي بن أبي الغنائم محمد بن علي العمري البصري، توفي عام ٤٤٣، وله كتب عديدة منها « ا دي والـمبسوط والـمشجر » .

٣- العلامة محمد بن جعفر العبيدلي في كتابه « ذيب الأنساب » توفي سنة ٤٣٥ .

٤- العلامة اليمني أبو العباس الشرجي في كتابه « طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص »، ذكر فيه هجرة السادة آل الأهدل وابن عمه جد آل القديمي، فذكر سكنى الأول بوادي سهام والثاني بوادي سردد والثالث وهو الإمام المهاجر إلى حضرموت (١) .

بل أفرد كثير من علـماء النسب الرسائل المستقلة لهذا النسب الشريف منهما الإمام النسابة المرتضى الزبيدي والنسابة ابن عنبة صاحب « عمدة الطالب » أيضاً، ولا تزالان مخطوطتان .

وغير هولاء كثير ممن تناولوا تحقيق هذا النسب الشريف واعترفوا بصحته قطعيا (٢)، كما أن الأحكام الشرعية التي تجري في المعاملات والعلاقات في

---

(١) « الإمام المهاجر » ص (٧٠)، وفيه تفصيلٌ وافٍ للراغب .

(٢) ومنهم الخزرجي واليافعي والعواجي وابن أبي الحب والسخاوي وأبو الفضل وأبوعباد وابن عيسى التريمي والجنيد وابن أبي حسان وابن حجر الهيتمي وابن سمرة وابن كبن وبامخرمة وابن فهد وابن عقيلة والـمرواني التريمي وغيرهم كما ذكره السيد ضياء شهاب في «الإمام المهاجر».

أما في العصر القريب فقد اعتنى بالنسب الشريف البحاثة المحقق عبد الله بن حسن بلفقيه في كتابه «تفنيد المزاعم» والسيد العلامة علوي بن طاهر الحداد في «القول الفصل» و« الشامل في تاريخ حضرموت » والسيد العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف في «بضائع التابوت» .

مواطن وجودهم من الدلالات القطعية على شريف نسبهم وموالاة العرب والهند وتركيا وجنوب شرق آسيا دليل قطعي آخر .

وقد خصص سلطان المغرب الشريف محمد بن عبد اللّه العلوي سنوياً لأشراف الحجاز واليمن ألف مثقال من الذهب، وكذلك الخليفة العثـماني حسب « الفرمانات » التي أصدرها، وهي محفوظةٌ، كما خصصت لهم الأربطة والأوقاف في الحجاز واليمن .

وكان آخر من كتب[1] وحقق مسألة النسب الشريف للسادة بني علوي رداً على بعض المنكرين حقيقةَ النسب السيدان العلَويان: العلاّمة محمد بن أحمد الشاطري في ((تزويد الراوي)) والعلامة سقاف بن علي الكاف رحمه اللّه في كتابه ((دراسة في أنساب أهل البيت)).

---

(١) صدرت هاتان الرسالتان مابين عامي ١٤٠٥ - ١٤٠٨ بالحجاز حيث يقيم المؤلفان، ومن حيثـما تكلـم المنكر في بعض أجهزة الإعلام .

مخطط تسلسل النسبة العرقية

تسلسلُ النسبةِ الفكْريةِ لبني علَوي بحضرموت

المقصود بالنسبة الفكرية التسلسل الرأسي لمنهج الطريقة العلوية من مؤسسها إلى المعلم الأعظم سيدنا محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم، والتسلسل الأفقي من مؤسسها ومن سار على المنهج من بعده إلى عصرنا الحاضر، وإليك الإيضاح :

(أ) التسلسل الرأسي لطريق السادة بني علوي

يبدأ تسلسل المنهج العملي والعلمي لمدرسة بني علوي بحضرموت بعصر الإمام الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم، ومن هذا العصر يعرف التسلسل الرأسي والتسلسل الأفقي .

فالمؤسس الأول للمدرسة وتفردها المنهجي كما سبق ذكره هو الإمام المهاجر وكان عصره عصر بذرٍ لهذا التفرد وغرسٍ أولي لمبادِئه، وجاء من بعده ولده عبيداللّه، الابن الذي شهد في حياة أبيه المهاجر أسلوب العمل والدعوة، وكان أول طالب علم يتلقى أصول علوم أهل السنة والجماعة في الحرمين الشريفين، فقد بعث به والده من حضرموت إلى مكة، وهذا أعظم شاهد على رغبة الإمام المهاجر في اتخاذ قرارٍ فكري جديدٍ في أولاده وأحفاده قبل سائر الناس، وكان الأمر كذلك، فعبيد اللّه بن أحمد لم يكتف بدراسة الأصول والحديث في مكة المكرمة، بل درس التصوف وعلوم الأخلاق النبوية على شيخ أهل السنة الإمام العلامة الشيخ أبي طالب

المكي المتوفى سنة ٣٨٦، وقرأ عليه كتابه الشهير بـ« قوت القلوب » [١]، كما قرأ عليه في علـم الفقه واستجازه في جميع مروياته وأسانيده .

ومن هنا اتصلت أسانيد آل أبي علوي ومدرستهم بأسانيد أهل السنة .

ولهذا يعبر المؤرخون في ترجمة عبيد اللّه بن أحمد بقولهم : عبيد اللّه بن أحمد هو أول من تنفس الأنفاس الصوفية بحضرموت، وكانت عودته إلى حضرموت في حياة والده، وهو الذي وضعه على منبر العلـم والدعوة ا واجتمعت عليه القلوب كما اجتمعت على أبيه المهاجر، بل كان علـماء وشعراء عصره يثنون على علـمه وكرمه وسخائه وتخلقه بأخلاق جده محمد صلى اللّه عليه وآله وسلـم، وكان يجيزهم بصِلاته وهباته السخية .

ولـما مات والده بالحسيسة سنة ٣٤٥ آلت إليه خلافة العلـم والدعوة، وقصده الناس من شتى البقاع، ولهذا وسع دائرة دعوته، فانتقل إلى قرية سمل ووهب جميع أراضيه وأملاكه في الحسيسة لـمولاه جعفر بن مخدم مقتدياً في ذلك بوالده [٢]، وأسس في سمل ثـم في بيت جبير

---

(١) وقد بحث ذلك المؤرخ السيد علوي بن طاهر الحداد بحثاً واسعاً في كتابه ((إثـمد البصائر في مذهب الإمام المهاجر)) مخطوط .

(٢) اشترى الإمام المهاجر عند دخوله إلى حضرموت نخيلا وعقارا ببلدة الهجرين ثـم انتقل إلى بني جشيب قبل انتقاله إلى الحسيسة ووهب أمواله وعقاره إلى مولاه شويه، وهو من الموالي الذين قدموا معه من العراق .

مصادر رزقه ورزق أتباعه بما اشتراه فيهما من الأراضي الزراعية والنخيل الباسق .

وأخذ الامام عبيدالله بن أحمد[1]يؤسس قواعد العلـم والشريعة والدعوة إلى الله على المنهج الفكري السائد عند علـماء أهل السنة بحضرموت .

---

(١) هاك نبذةً موجزةً عن الإمام عبيدالله بن أحمد المهاجر :

ولد بمدينة البصرة حيث كان والده مقيما، واسمه عبد الله، وإنما سمي عبيدالله لأنه كان يحب أن ينادى بالتصغير تأدبا منه لله، رحل من العراق مع والده إلى المدينة ثـم إلى حضرموت ومعه زوجته وولده الأكبر بصري وكان سنداً لوالده في نشر العلـم والدعوة إلى الله، ثـم بعث به والده إلى الحجاز لطلب العلـم، فأخذ عن جملة من علـماء الحرمين، وقرأ كتاب ((قوت القلوب)) على مؤلفه الشيخ أبي طالب المكي، ومن ثـم عاد في حياة والده إلى حضرموت فأذن له والده في التصدر لنشر العلـم ونفع الناس، ولـم يزل كذلك حتى وفاة والده سنة ٣٤٥، فآلت إليه الخلافة من بعده وقام ا خير قيام ووسع الله عليه في الحياة، فاشترى أراضي كبيرة في سمل وفي بيت جبير لتكون عوناً له على نشر العلـم والإنفاق في سبيل الله، واعتنى بتعليم أولاده على منهج أهل السنة، وتوفي هذا الإمام بعد أن أرسى القواعد العلـمية والعملية التي غرس مبادئها والده الإمام المهاجر .

وكانت وفاته في قرية سمل سنة ٣٨٣، واختلف في موقع مدفنه، فقيل : إنه بسمل، وقيل: إنه في العرض النجدي قرب مدينة بور . انتهى بتصرفٍ عن ((شرح العينية)) ص١٣٥ و((تاريخ حضرموت)) للحامد ص٣٣٦ .

وكان منهم في تلك الآونة آلُ أبي فضل وآل الخطيب، وكانت مساكنهم بمدينة ((تريم))، كما كان يناقش الخوارج ويناظر من بقي من علـمائهم بالحجة والبرهان متخذاً أسلوب والده الأخلاقي غير متعصب ولا متهور حتى انطوت حضرموت تحت رايته كما انطوت من قبل لوالده الإمام المهاجر.

مخطط التسلسل الرأسي لطريق السادة بني علوي

مخطط المراحل السياسية المتقلبة

ترسِيخ مذْهبِ أهلِ السنةِ على يدِ الإمامِ المهاجِرِ وأولادِهِ

أشرنا فيما تقدم إلى دور الإمام المهاجر بحضرموت في وضع منهج التوازن بين القوى الفكرية المتصارعة، واستطاع بالحجة والبرهان أن يخمد صوت أهل البدع والأهواء، وكانت هذه المرحلة على رغم غموضها في كتب التاريخ من أقوى مراحل ترسيخ المنهج السني على يد أئمة أهل البيت النبوي.

فحضرموت خلال هذه المرحلة قد امتلأت بكافة المذاهب والنحل شأ ا شأن غيرها من بلاد الإسلام، واشترك رجالها في حروب الصراع وال اع بين الأسر القرشية ؛ ولكنها مع هذا كله ظلت محتفظة بمنهج أهل السنة ناشرة أعلامه .

وقد كان بحضرموت من رجال السنة وعلـ ـمائها عدد كبير كالشيخ يحي بن عبد العظيم من المشايخ آل أبي حاتـ ـم والشيخ معمر أحمد الحاسب العالـ ـم الشهير، وعلـ ـماء آل الخطيب وآل أبي فضل وغيرهم .

وأول المذاهب دخولا إلى حضرموت المذهب الحنفي والشافعي، ولهذا يقال: إنه كان بالهجرين في القديم مفتيان : مفتٍ للـ ـمذهب الحنفي وآخر للشافعي [1]، وهذا يبرز للـ ـمتأمل أن الغالبية العظمى من الناس كانت على منهج أهل السنة .

---

(١) راجع ((أدوار التاريخ)) ص١٥٣.

كتب السيد الشاطري في ((الأدوار)) ص١٥٣ :

وجمهوره - أي العلـم - من السنيين، ولـم نسمع عن غيرهم من الشيعة إذا صح وجودهم ا[1] وقلة من الإباضيين . فللسنيين علـماؤهم الكبار وأئمتهم الأحبار[2] .

ولقد كسب الإمام المهاجر جولة الزمن بوضع أهل السنة في كفه ورسم مستقبل أهل البيت على هذا المنهج في الكفة الأخرى، وجعلهم قوام المرحلة الجديدة في حضرموت، وأخضع لهم بقية الفئات .

قال الشاطري في ((الأدوار)) عن الإباضية والـمهاجر : فإنه استعمل معهم طريقة الإقناع والاقتناع، ونشر في حضرموت المذهب السني هو وبنوه وأشياعه وأعقا م من بعدهم[3] .

---

(١) المرجع السابق ص١٥٣.

(٢) اشتهر من أعقاب المهاجر الإمام محمد بن علي صاحب مرباط (ت ٥٥٦)، والإمام سالـم بن بصري (ت ٦٠٤)، ومن المشايخ الشيخ سالـم بن فضل بافضل (ت ٥٨١) . اهـ ((الأدوار)) ص١٤٩.

(٣) هناك بحوث ورسائل من علـماء حضرموت حول هذه المسألة، منها رسالة السيد العلامة عبدالله بلفقيه سماها ((بحث في التاريخ المعاصر للحياة الثقافية في عصر الإمام المهاجر)) ، ورسالة للسيد العلامة علوي بن طاهر سماها: ((جنى الشماريخ)) رقمتا على الآلة الكاتبة، وغيرهما .

وسواء صح وجود مذهب الإمام الشافعي في هذه الفترة أم لـم يصح فإن الواقع الذي بنى عليه الإمام المهاجر مدرسته هو الذي هيأ انتشار مذهب الإمام الشافعي في الفقه ومذهب الأشاعرة في علوم العقائد .

كتب الشاطري في ((الأدوار)) ص١٦١ : فاستطاع المهاجر بعلـمه وقوة عارضته وشجاعته أن ينشر المذهب الشافعي السني بحضرموت[١] حتى حل محل المذهب الإباضي تدريجيا طبق سنة التطور المذهبي، وبفضله وفضل تلاميذه من أهل السنة انقلب القطر الحضرمي بلداً شافعياً سنياً، ولـم ينته القرن السابع حتى تلاشى المذهب الإباضي بتاتا من حضرموت وعمها المذهب السني .

وقد قام بنفس الدور في المهرة حفيده الإمام محمد بن علي صاحب مرباط حيث نشر ا المذهب الشافعي [٢] .

ويرى السيد الشاطري في ((الأدوار)) أن مذهب أهل السنة لا يختلف عن عقائد أئمة آل البيت النبوي، وهذا يؤيد القول الآنف أن أئمة آل البيت حيثـما كانوا وعلى أي مذهب من مذاهب الإسلام ا مع عليها يمثلون

(١) هذا على رأي من قال: إن المذهب الشافعي كان موجوداً من قبل المهاجر .
(٢) وقد ترجمنا له في رسالة مستقلة ضمن سلسلتنا ((أعلام حضرموت واليمن)) لا زالت تحت الطبع .

الإمامة كمرتبة ومقام اجتهادي[1]، وإلى هذا يعني قول السيد الشاطري، إذ لا تنافي بين عقيدة أئمة آل البيت القدماء وبين عقيدة أهل السنة كما تصرح بذلك الكتب المختصة، اللّهم إلا إن كان في مسائل معروفة، بل إن الشافعي رضي اللّه عنه نجد في نثره ونظمه تشيعاً معتدلاً لأهل البيت، وهذا لا يخرجه عن سنيته، وبذلك يتضح أن المهاجر على مذهب الشافعي الذي يراه كمذهب آبائه [2].

---

(١) سئِلَ الحبيب أحمد بن حسن العطاس عن دعاء الإمام علي زين العابدين في قوله: اللّهم إنك أيدت دينك في كل أوانٍ بإمامٍ أقَمته لعبادك، فأجاب بأن المراد إمامةُ أهل البيت المشار إليها بقول الإمام الحداد :

- ومِنا إمام حانَ حِين خروجِهِ -

وهي مرتبة الإمامة الخاصة التي يتوارثها أهل البيت إلى أن يظهر المهدي، ولـما سئل الامام الحداد في مكة عن مذهبه أشار إلى الاجتهاد.

(٢) قال العلامة السيد أبوبكر ابن شهاب في كتابه ((رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبي الهادي)) ص١٠٦ :

ذكر الشيخ عبدالوهاب الشعراني قدس اللّه سره في أول مقالته التي قبل هذه أن تعصب الشخص لأجداده غالب على الناس ، ثـم قال: ولهذا قالوا: من النادر شريف سني ، وقد نقل هذه المقالة غيره أيضا ، وليت شعري إلى من تعزى هذه المقالة، ومتى كان وجود الشريف السني من النوادر ، وفي أي مكان كان ذلك ، فإن كتب السير والتواريخ ناطقة ومصرحة بأن أجلة سادات السنة السنية وقادات أعلام الأمة المحمدية هم أهل البيت الطاهر والشرف الباهر ، وهم الأئمة

الذين يهتدى بأنوارهم فى كل زمان ، والأدلة الذين يقتدى بآثارهم في كل أوان، وهم والله كما قال شاعرهم الكميت الأسدي في حقهم:

الـمصيبونَ باب ما أخطأ النا   س ومرسى قواعدِ الإسلامِ

وكيف يسوغ الحكم بمخالفة السنة على معظم أحد السببين اللذين قدم المعذرة إلينا رسول صلى الله عليه واله وسلـم بهما؟ وأخبرنا أن من تمسك بهما لن يضل وأن من تقدمهما هلك ومن تأخر عنهما هلك ؟ وأمرنا أن نتعلـم منهم ولا نعلـمهم وأن مخالفيهم حزب إبليس ؟ وأنهم لن يدخلونا باب ضلالة ولـم يخرجونا عن باب هدى وأن الله جعل فيهم الحكمة ؟ فالحق بالنصر ما أوضحوه وقالوه ، والطريق المستقيم ما سلكوه ، وكان الأحق والأولى أن يقال: من النوادر شريف غير سني ؛ لأن البطولات العظام والعائلات الكثيرة العدد من هذا البيت المطهر كلهم والحمد لله سنيون معتقداً ومشرباً ، كالسادة العلوية الحسينيين بحضرموت وبجاوة والهند ، وكأشراف الحجاز بني قتادة الحسنيين ، وكالسادة الرفاعية الحسينيين بالشام والعراق ، وكالسادة الجيلانية الحسنيين بالعراق والهند ، وكالسادة الأهدلية الحسينيين باليمن ، وكالسادة الإدريسية بالـمغرب وغيرهم من العائلات المباركة المنتشرة في أقطار الدنيا .

فهؤلاء هم أساطين السنة والجماعة ، وهؤلاء دهاقين هذه البضاعة ، ولـم يكن من أهل البيت الشريف من هو على رأي الشيعة في الانتقاد على الصحابة إلا قليل بالنسبة لأهل السنة منهم ، كبعض أشراف اليمن وبقايا في طهران والهند ونبذة في العراق وفقهم الله للصواب .

نعم ، محبة الشخص لآبائه ونشره محاسنهم وتعداده مفاخرهم وفضائلهم وموالاته من والاهم أمر طبيعي وحال محمود ما لـم يتطرق إلى غلو ينهى عنه

ويضيف الشاطري فيقول مؤكدا سنية المهاجر : وبلغني أن بعض مؤرخي هذا العصر يقول : إنه - أي المهاجر- إمامي المذهب ؛ ولكن المصادر التي أشرنا إليها لا تؤيده ولا تؤيد ما يبنيه عليه، ومما ذكرته أيضا أخذ ابنه عبيدالله على أبي طالب المكي السني، وهو نسخة طبق الأصل لأبيه[1]، ويستفاد من هذه الإيضاحات أن كافة من تصدر من ذرية وأحفاد المهاجر في وادي حضرموت رسخوا في الواقع الاجتماعي مذهب أهل السنة وتعلموه وعلموه، وتشهد بذلك كتبهم وتلامذتهم وتسلسل أسانيدهم العالية إلى يومنا هذا [2] .

الشرع أو يتعد إلى انتقاص من عظّم اللّه شأنه ، وعليه فلا يجوز أن ينسب إلى مذموم التشيع من لا يزال من الأشراف ناشراً أعلام الثناء على جده صلى اللّه عليه وآله وسلم .

(١) ((أدوار التاريخ)) ص ١٦٠-١٦١ .

(٢) في هذه الاستدلالات الواضحة المبنية على ما بقي من الآثار العلمية والأسانيد العالمية قطع وبتر لما تردده ألسنةُ بعض المتأخرين عن منهج السلف المتوارث بحضرموت، وما تكتبه بعض الأقلام الانفعالية من خبطٍ وخلطٍ وتزييفٍ لحقائقِ منبتِ وأصالةِ مذهبِ المهاجرِ والفقيهِ المقدمِ ومن جاء مِن بعدهم إلى عصرِ الغثائية العالمية، عصرِ انتماء العشرات من آل البيت إلى التيارات والجماعات وانسلاخِهم الفكري، عن موردِ التسلسل النقي، حتى صار كل ناعقٍ منهم يعزو منهج أهله وسلفه إلى ما يعتقده هو أو ما يستحسِنه في الواقع المحلي والعالمي من مدارس ونحلٍ وتوجهاتٍ .

بل وقد بلغتِ الجرأةُ ببعضهم من حملةِ هذه الأقلام أن سمى عدداً من بيوت آل باعلوي ونسبهم إلى منهج الإمامية المنتشرة ببعض بلاد الإسلام مع أن الواقع والتاريخ وحقائق الأحوال غير ذلك، ولو طالبت مثل هذا الجاهل أن يأتي بإثباتٍ مادي أو علمي مرتبطٍ بسندٍ ومدرسةِ هذه الفئات التي يعزو إليها منهج أهله لما وجدت غير ما يضحك من شواهد القبور التي ما كانت في الإسلام حجةً على مدرسةٍ وإنما هي قراءات لما قبل الإسلام، وأما منهج الإسلام ومدارسه فيبنى على وقائع الأحوال من الكتب والأسانيد، وسند مدرسة آل باعلوي إنما يرتقي لأئمة آل البيت النبوي، ومن حيث التسلسل العرقي والإمامة التي أشرنا إليها بأنها مرتبةُ ومقام اجتهادٍ وليست مذهباً معيناً إلا لمن يتمذهب به في الواقع الذي يعيشه، وحتى أولئك الأفراد الذين ذكرهم ونقل بعض ما ينقل عنهم من أشعارٍ وكلماتٍ لا يمثلون في هذا الخروج عن المنهج حجةً ضد مدرسة آل باعلوي، ولا يكونون حجةً على إماميةِ مدرسةِ آل باعلوي، وإنما هذه ظاهرةٌ معهودةٌ في المدارس والمذاهب، إذ لا يحتج على آل باعلوي بأبنائهم الذين حملوا راية الإلحاد والشيوعية في قعر بلاد حضرموت، فنقول كما قال هذا المؤلف المتهور : إن آل الحداد، وآل شهاب، وآل البيض، وآل العطاس، وآل ابن يحيى وهلم جرا بيوتات شيوعيةٌ إلحاديةٌ ؛ لأن فلاناً من أبنائهم تولى منصباً معيناً وآخر كتب مؤلفاً وآخر قال عباراتٍ أو شعراً يؤيد رؤيته من الاشتراكية والشيوعية .

إن بيوت آل باعلوي كلها بيوت على مذهب المهاجر والفقيه، ولم نسمع أن عالماً من علمائها عبر التاريخ كله من أخذ علمه أو سنده أو سافر لطلب العلم في بلد تنتمي لغير مذهب أهل السنة؛ ما عدا من سافر في

بدء عصر ترسيخ المدرسة لجلب الأموال وللإبقاء على صلة الرحم القائمة بين من في حضرموت والعراق، وتسلْسلَ في بيوت آل باعلوي خِدمةُ منهج أهل السنة والجماعة مع الحب المبين والواضح لكافة المذاهب الأخرى في الإسلام، والتعارف فيما بينهم والتزاور على غير تعصب، حتى أولئك الأفراد الذي أراد المؤلف المشار إليه أن يجعلهم حجةً على أهله وسلفه إنما أخذوا علـمهم وأسانيدهم عن مدرسة أهلهم وسلفهم ومثلوها في إندونوسيا والعالـم ولـم ينقطعوا عنها ولا عن منهجها ولا عن أسانيدها، وإنما كان لبعضهم استحسانات ذاتيةٌ ربما سكت عنها وأخفاها في غالب أحواله، ومنهم من كان لاستحساناتِه وجه مقبولٌ خصوصاً في المسائل المعتدلة ؛ ولكنها مسائل مسكوت عنها في منهجنا، ولا ترتقي إلى مستوى الاهتمام ا، أو إشاعتها، أو اتخاذ الكلام فيها حجةً على منهج أو حجةً لـمنهج.

وإذا كانت إندنوسيا على رأي المؤلف المشار إليه قد عرفت منهج أو مذهب الإمامية على يد جماعة من آل البيت أياً كانت نسبتهم، فالـمقطوع به أ م لا ينتمون لـمدرسة آل باعلوي ولا يمثلو ا ولا يتحدثون باسمها في هذه المسائل، وإنما يعبرون عن وجهة نظرٍ ذاتيةٍ قد يختلف فيها أحدهم مع شيخه أو أبيه أو ولده، ولا يجتمع على هذه المسائل أسرة واحدة فضلاً عن اجتماع مدرسة بكاملها .

إننا لا نكِن لأي مذهب من المذاهب الإسلامية عداءً أو حرباً بقدر ما نحترم هذه المذاهب ونحترم وجهات النظر فيها ؛ ولكن إذا بلغ الأمر الاعتداء السافر المباشر على منهجنا ومذهبنا أو التزييف فإن الإيضاح واجب ولازم لِيقِف كل من الموافق والـمعارض عند حده، إذ مدرستنا لا تمانع أن يختار بعض المنتسبين إليها اسماً لا عقيدةً

مذْهب آل أبي علَوي في مسائِل الاِختِلافِ

كتب الامام الحداد في ((الدعوة التامة)) ص١٣٠ تحت عنوان ((الكف عن الخوض فيما شجر بين الصحابة)) :

ومما ينبغي ويتأكد كف اللسان عن كثرة الخوض فيما شجر بين أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلـم بعده ووقع بينهم من الحروب والفتن. ومن أهول ذلك وأعظمه إشكالا مقتل أمير المؤمنين عثـمان بن عفان رضي اللّه عنه، ثـم ما وقع بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه وبين طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنهم يوم الجمل وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه وبين معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص رضي اللّه عنهم بصفين .

فليلتمس المؤمن الشفيق على دينه لأصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلـم في أمثال ذلك أحسن المخارج ويحملهم على أجمل المحامل اللائق بفضلهم وجلالة أقدارهم فإ م رضي اللّه عنهم عدولٌ أخيار أمناءُ .

ما استحسنه لنفسه ؛ ولكن الممانعة تبرز جليةً عندما يتعدى جاهل بمدرسته وعقيد ا على تاريخ حافل باا ـمواقف ليجعله لقمة سائغة في فم المدارس العاا ـمية .

فليكن المؤمن المتبع لهم بإحسانٍ [1] على مثل ما وصف الله في قوله تعالى: { والذِين جاؤوا مِن بعدِهِم يقُولُونَ ربنا اغْفِر لنا ولإِخوانِنا الذِين سبقُونا بالإيمان ولا تجعلْ في قُلُوبِنا غِلا لِلذين آمنوا ربنا إِنك رؤوف رحِيم}، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((إذا ذكر أصحابي فأمسكوا))، وقوله عليه الصلاة والسلام: ((خير القُرون قَرنِي ثم الذِين يلُونهم ثم الذِين يلُونهم ثم الذِين يلُونهم ..)) الحديث، وقال عليه الصلاة والسلام : ((احفَظُوني في أصحابي وأصهاري، فمن حفِظَني فِيهم حفِظَه الله في الدنيا والآخرة، ومن لم يحفَظْني فيهم تخلّى الله عنه، ومن تخلى الله عنه أوشك أن يأخذَه))، وبالله الإعانة والتوفيق . انتهى ملخصاً .

وورد في كلام الحبيب العلامة الإمام أحمد بن حسن العطاس المعروف بـ ((تنوير الأغلاس)) ما مثاله :

---

(١) الإمام الحداد صاحب هذه العبارات افترى عليه مؤلف رسالة ((الشيعة في إندونيسيا)) وصنفه في بيوت الشيعة، ولم يجد في مؤلفات الحداد ولا ديوانه ما يشفع لكذبه فنقل بعض أبيات من قصيدتين طويلتين لا علاقة لهما بما يعزو إليه المؤلف، وليس فيهما حجة على تشيعه .

فالإمام الحداد أحد أئمة آل البيت النبوي، وأحد أقطاب مدرسة أهل السنة والجماعة ، وكلها تصب في خدمة مذهبه ومذهب مدرسة الشافعية العلوية المرتبطة بالكتاب والسنة النبوية، ومنها مكاتباته وكلامه، وفيهما الغنية الكافية لمن أراد أن يعرف منهج الإمام الحداد.

الصحابة أفضل الخلق بعد الأنبياء، وأفضلهم الخلفاء الأربعة، وأفضل الخلفاء سيدنا أبوبكر الصديق ثـم سيدنا عمر الفاروق ثـم سيدنا عثـمان ثـم سيدنا علي، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، جميعهم عدول بررة، وهم ثلاثة أقسام :

١- قسم هاجروا مع النبي صلى اللّه عليه وآله وسلـم، وهم المهاجرون.

٢- قسم نصروه، وهم الأنصار .

٣- قسم آمنوا به وصحبوه .

وأما من جاء من بعدهم فقال اللّه فيهم : { والذِين جاؤوا مِن بعدِهِم يقُولُونَ ربنا اغْفِر لنا ولإخوانِنا الذِين سبقُونا بالإيمان }، فمدحهم اللّه لاتصافهم ذا الوصف، والحذر كل الحذر أن ينتقصهم أحد أو يتكلـم فيهم.

الصحابة كلهم عدول، وكلهم فضلاء، وما جرى بينهم مؤول، والسكوت عنه واجب كما قال صاحب «الزبد» :

وما جرى بين الصحابِ نسكُت عنه وأجر الاِجتِهادِ نثْبِت

وسيصلح بينهم ر م هناك ويجمعهم في مستقر رحمته ودار كرامته، وبعض الناس يتجرأ على تنقيص بعض الصحابة، وليس له أسوةٌ مِن سلفه في ذلك، وإنما حمله على ذلك اطلاعه على بعض التواريخ التي جمع فيها الغث والسمين والحق والباطل، والحق في اتباع السلف وفيما اعتقدوه وفعلوه، ومن زاغ ومال عن هذا المنهج القويم ولـم تنفع فيه الموعظه والتذكرة

فسيندم إذا كشف الغطاء، ونعوذ بالله أن نقول ما ليس لنا به علـم أو نعتقد ما ليس بحق أو نعمل غير صالح . انتهى ملخصا .

وأما السيد العلامة الشاعر الناثر أبوبكر بن عبد الرحمن بن شهاب وبقدر ما نقل عنه مؤلف « الشيعة في إندونوسيا » من أبيات أبرز فيها وجهة نظره الذاتية في بعض مسائل الخلاف فإ ا في غالبها لا تخرج عن المسكوت عنه في منهج أهله وسلفه، وأما الاستدلال على تشيعه بمفهوم المذهب فلا يوجد ذلك في حياته أصلا، وله من القصائد ما تشير إلى اعتداله في كثير من المسائل .. وسواء كان ابن شهاب سنياً أم إمامياً فليس موقفه حجةً على مذهب أهله، وليس شعره حجةً لـمن أراد أن يسلب منهج أهله تفردهم وخصوصيتهم .

قال العلامة ابن شهاب في « ديوانه » :

دِيننا حب أهلِ بيتِ رسولـ … ـهِ حبـ ـاً يـكفّر الأوزارا
وكذا حب صاحبيهِ الضجيعيـ … ـنِ العلِـيـين عِنده مِقدارا
ما رب فِتنةً أخمـ ـد اللّـ … ـه أزاغت لِهولِها الأبصـارا
ولعثـمانَ نعرِف الفَضلَ لـما … جاد بالفضلِ حين نال اليسارا
والأُولى بشروا بأنّ لهـ ـم في … جنةِ الخُلْـدِ مستقـ ـراً ودارا

وقال في « رشفة الصادي » ص١١٠[1] :

---

(١) طبعة السيد طاهر العيدروس .

يجب ويتأكد على الناس عموما وعلى أهل البيت الشريف خصوصا تعظيم وتوقير أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم ومحبتهم جميعا لأنهم نجوم الهداية ورجال الرواية والدراية ، وهم أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام ، وقد أثنى اللّه عليهم في كتابه العزيز ووردت في فضلهم الأحاديث الصحيحة ، وجاءت بذلك النصوص الصريحة . ويكفي المنصف من ذلك قوله صلى اللّه عليه وآله وسلم: « إن اللّه اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «اللّه اللّه في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى اللّه ومن آذى اللّه يوشك أن يأخذه » رواه الترمذي ، وقوله صلى اللّه عليه وآله وسلم : «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم »، وقوله صلى اللّه عليه وآله وسلم : «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحدٍ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » .

ثم قال: وأفضلهم أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي اللّه عنهم، وبعض أهل السنة يفضل عليا على عثمان ، وبعضهم يتوقف بينهما وهو مختار الإمام مالك ، وإلى هذا القول يشير ناظم « الزبد » حيث يقول:

وبعده فالأفضلُ الصديق والأفضلُ التالي له الفاروق
عثمانُ بعده كذا علي فالستةُ الباقونَ فالبدري

السلَف مِن آل أبي علَوي لا يمِيلُونَ إلى الغلُو

من قواعد منهج آل أبي علوي أ م لا يميلون إلى الغلو في مسائل الخلاف الذي جرى بين الصحابة، كما أ م يسكتون فيما دون ذلك، ولا يرغبون الحديث أو الخوض في شيء منها، ومن ذلك :

١- مقتل الإمام الحسين وإعادة ذكرى يوم كربلاء .

٢- ال اع بين الإمام علي ومعاوية ونتائج ذلك .

٣- مواقف عائشة الصديقة من الإمام علي .

٤- مسائل الخلاف حول خلافة الإمام علي رضي اللّه عنه .

٥- لعن بعض البغاة علَناً .

٦- خلاف سيدتنا فاطمة مع سيدنا أبي بكر الصديق حول فَدك وغيرها.

وللسلف رضي اللّه عنهم مواقف خاصةٌ من المؤلفات التي تتناول هذه المسائل، فقد أُثر عنهم عندما وصل كتاب « الإحياء » وجرى في ثنايا عباراته كلام حول بعض هذه المسائل قالوا : في « الإحياء » كلام أو عبارات وِدِدنا أن نمحوها ولو بماء العيون..

وعندما دخل « المشرع الروي » إلى تريم - وهو مجموع تراجم السادة بني علوي ومؤلّفُه عاش في الحرمين وتأثر بمدرسة الحجاز، وهي من مدارس أهل السنة - قال سلَفُنا: وِدِدنا من مؤلف «الـمشرع» أن لا يكون كتب بعض الوقائع .

وأُثر أنه إذا قرئ « المشرع » على بعض الرجال يقول : مروا عليه سرداً من غير تقرير خصوصا في أول الكتاب عند ذكر ما جرى بين الصحابة ووقائع مقتل الإمام الحسين رضي اللّه عنه .

وهذه في مدرسة آل أبي علوي مواقف ثابتةٌ تناقلها الخلف عن السلف وصارت منهجهم المتفرد عن غيره .

وكما أن لهم موقفاً ثابتاً من هذه المسائل فإن منهجهم وطريقتهم - حتى من شذ في الظاهر عن منهجهم - تخالف الأقوال التي عليها مذهب الإمامية، ومنها :

١- نفيهم لعقيدة عصمة الأئمة الاثني عشر.

٢- عدم القول بالـمتعة المتعارف عليها عند الإمامية .

٣- عدم القول بالتقية والرجعة.

٤- صحة الجمعة والجماعة بغير إمام من أهل البيت.

٥- ترضيهم عن جميع صحابة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلـم .

٦- عدم القول بأن لفظ الطلاق الثلاث يعد واحدا .

٧- مخالفتهم الإمامية في اعتقاد الغيبة الكبرى للإمام .

٩- ليس لسلفنا أي شعار من فرح أو حزن في الأيام التالية : ١٨ ذي الحجة ((يوم غدير خم))، يوم عاشوراء، يوم كربلاء، وغيرها من الأيام ذات المناسبات المتعلقة بأحداث آل البيت النبوي.

فآل باعلوي بحضرموت والعالـم كله عبر تاريخهم الطويل ونشاطهم العلـمي والعملي لـم يثبت عن أحد من رجالهم الذين يمثلون دعوة الطريقة أن دعا إلى شيء من هذه العادات أو أقامها بحضرموت أو خارجها[1]؛ ماعدا صوم يوم عاشوراء عند البعض اختياراً لـما ورد في فضله عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلـم [2] .

---

(١) ذكر مؤلف « الشيعة في إندونوسيا » بعض الشعائر المقامة عند الشيعة يوم العاشر من محرم ومنها طبخ الشربة باللونين الأحمر والأبيض، وفي شهري محرم وصفر لا تقام الأفراح ولا يجرون عقد النكاح ولا الزواج، والـمعتقد لدى هؤلاء أن من أقام أفراحا في هذين الشهرين قد يصيبه نحس، وإلى غير ذلك من العادات .

قلت : هذه العادات - والـمؤلف يعرف ذلك - لا يلقي العلويون بحضرموت وإندونوسيا وغيرهما من بلاد العالـم ا بالاً ؛ لأ ا ليست من طريقتهم، وتعاقبت الأجيال على ذلك، ولهم في تكريم الشيوخ ما يسمى بالحوليات والزيارات فقط، فيجب التفريق كليا بين ((مفهوم العلويين)) كمدرسة وبين غيرهم .

(٢) سلفنا الصالحُ يرونَ أنّ أحقيةَ الاقتداء إنما تكون لـما ثبت عن الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلـم، ولا أثر عندهم لـما يقع من الحوادث التاريخية في مسألة الفعل والترك، فإذا كان قوم لا يحتفلون بعيد الفطر لأن فيه مناسبة مقتل فلان ولا يحتفلون بعيد الأضحى لأن احتفالهم بيوم غدير خم فسلفنا لا يقولون ذا ؛ إذ إن النص مقدم على الاختيار، ولا بأس بمن أراد أن يبرز مقام الإمام أو أحدا من ذريته دون تعطيل سنة نبوية أو معارضته مشروعيتها، فالـمسألةُ اختيار لا وجوب شرعي .

وهذه الاستدلالات كلها نضعها هنا ليعلـم الجاهلون من أبناء طريقتنا أن الاقتداء والاهتداء ليس انفعالاً بالأحداث والحوادث، ولا شعاراً لـمرحلة أو حركة معينة، وقد شربنا علْقَم هذه الانفعالاتِ مراتٍ ومراتٍ، وكفى لـمن أراد أن يتحدث بلسان أهله أو أن يعبر عن وجهة نظرهم في مذهبهم كفاه ما ثبت عنهم، وأما من امتلأ قلبه استحساناً بمذهبٍ أو جماعةٍ أو حركةٍ أو دعوةٍ فمدرسة آل باعلوي لا تلزم أحداً بمنهجها ولا تلتزم له، وإنما تأبى التزييف عليها والكذب والبهت والافتراء .

كُتب السادةِ بني علَوي خالِيةٌ عن غَيرِ منهجِ الفَقِيه

تعتبر الكتب والـمؤلفات أهم مرجعٍ يكشف للباحثين ما يرغبون معرفته عن أي عصرٍ وأمةٍ، بل ومن خلال قراءة الحرف المرسوم أو المكتوب على الأحجار والجلود والعظام وصل إلينا القرآن قبل حفظه مجموعاً في المصاحف، وصار الكتاب في كل زمنٍ هو لسان أهله ودليل علـمهم وعملهم وحيا م المادية والروحية، وسلفنا العلويون بحضرموت لـم يتركوا منهجهم العلـمي والعمِلي عرضةً وغَرضاً لكل ناعقٍ وطامعٍ، بل كانوا على غايةٍ الحرص والاهتمام، يبذلون كل جهد في سبيل المحافظة على أبنائهم وتلامذ م حتى لا يخلِطوا بين الصحيح والسقيم .

ومنذ برز الإمام المهاجر بحضرموت وانتشر خبره وهو يرسخ منهج التفرد فيما رغب لأهل مدرسته أن يتفردوا فيه، وبراهين ذلك مثبتةٌ في كل المؤلفات المنتشرة بين أيدينا محليةً وغير محليةٍ مخطوطةً أو مطبوعةً، فليراجعها الراغبون في معرفة المهاجر والفقيه ومن تلاهما، فالعلويون بحضرموت أقاموا صرح مدرستهم على كتاب اللّه وسنة رسوله، فهم الأئمة الهداة التقاة الذين توارثوا نعمة الإمامة بمعانيها العظيمة وجعلوها طريقهم إلى جمع أمة القرآن وإشاعة النور المحمدي فيها .

قال الإمام الحبيب أحمد بن حسن العطاس في كلامه ((تنوير الأغلاس)): وسلفنا رضي اللّه عنهم يتبعون الكتاب والسنة، فما نطق به القرآن ونصت

عليه السنة النبوية ذهبوا إليه، ولا يقلدون أحداً فيه لأ م جمعوا بين العلـم والـمعلوم والعمل، وفي كيفية العمل ومسائل الفروع يذهبون إلى ما ذهب إليه الإمام الشافعي .

وأكثر الخلاف بين العلـماء إنما هو في مسائل الفروع والقياسات فقط، ولابد أن يخُطئ أحد منهم في استنباطٍ أو قياس، وأما الأحكام التي يدور عليها الدين فلا يختلفون عليها [1] .

ومنذ أن برز الفقية براية التصوف والـمنهج هو المنهج.. والدعوة هي الدعوة.. والـمذهب هو المذهب.. وما تكلـم الرجال.. إلا في العلـم والأعمال.. والـمقامات والأحوال.. ولـم يلْغوا في حكمٍ ولا كلامٍ.. في حربٍ أو سِلـم.. بل جعلوا الهم همّاً واحداً.. ووسيلتهم في ذلك الدعوة إلى اللّه بالحكمة والـموعظة الحسنة [2] .

---

(١) وقال فيه : وما جعلوا تقر م إلى اللّه بلعنٍ ولا شتمٍ لـمعارض ولامخالفٍ، بل اقتدوا بالـمتبوع الأعظم صلى اللّه عليه وآله وسلـم الذي ثبت عنه أنه ليس بلعان ولا همّاز ولا طعان .

(٢) وقد ترجمنا للأستاذ الأعظم الفقيه المقدم ترجمة مستقلةً ضمن سلسلتنا ((سلسلة أعلام حضرموت واليمن)) ، وقد طبعت.

ولإثبات اشتغالهم واهتمامهم بمنهجهم الذي ساروا عليه عبر العصور نذكر جملة من مؤلفاتهم[1]:

(١) من المعلوم لدى كل مطلع على تاريخ بني علوي بحضرموت قديماً وحديثاً أن آل باعلوي أو بني علوي لم يهتموا كثيراً بالتصنيف، وإنما عكفوا على الأعمال وتربية الرجال، مع اهتمامهم بالعلم من خلال المؤلفات والمصنفات النافعة التي بين أيديهم ككتب الحديث المشهورة وشروحها والتفسير وكتب المذهب الشافعي في الفقه والأصول، حتى إن بعضهم استظهر بعض كتب الحديث كالبخاري ومسلم، وبعضهم استظهر بعض كتب التفسير حفظاً، ومنهم من حفظ بعض كتب الفقه الكبيرة . وقد أُثِر أن كبار الشيوخ على عهد الإمام العيدروس رغبوا في كتابة مصنفٍ جامع لقواعد السلوك والآداب التي يرجونها في أبنائهم وتلامذتهم ، وأثناء ذلك جاء خبر ظهور كتاب ((الإحياء)) للإمام الغزالي، فطلبوه فجيء به إلى حضرموت، فطالعوه وقرؤوه مراتٍ واستنسخوه فأعجبهم غالب ما فيه، واختاروه كتاب منهج لأولادهم، وشجعوا الطلاب والمريدين على استنساخه واقتنائه ومطالعته، وهكذا كانوا لا يتكلفون التصنيف إلا إذا دعتِ الضرورة، فيأذنون لأحدهم أو بعضهم كي يقوموا به ليس عجزاً ولا هروبا . وفي هذا يقول الإمام الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس بن الشيخ عبد الرحمن السقاف : ((لو شئت أن أصنف في حرف الألف مئة مجلدٍ لفعلت)) ومع هذا فإن العديد منهم قد صنفوا وأجادوا، وهو ملاحظٌ في قائمة المؤلفات .

والمتأمل لهذه المؤلفات المذكورة هنا -وغيرها كثير- سيجد أن هذه الكتب كلها لا تتعدى المنهج المتعارف عليه عند أهل السنة والجماعة، مما يؤكد توجه مدرسة حضرموت وما تفرع عنها في العالم إلى التفرد عن المناهج

١- ((الجوهر الشفاف)) للخطيب، مطبوع .

٢- ((الترياق الشاف)) لباشيبان، مخطوط .

٣- ((غرر البهاء الضوي)) لـ محمد بن علي علوي خرد المتوفى سنة ٩٦٠، مطبوع .

٤- ((البرقة المشيقة)) للإمام علي بن أبي بكر السكران، طبع سنة ١٣٤٧.

٥- ((الكبريت الأحمر)) للعيدروس .

٦- ((المشرع الروي)) للشلي.

٧- ((الجزء اللطيف في التحكيم الشريف)) للإمام أبي بكر العدني ابن عبد اللّه العيدروس (ت ٩١٤)، طبع سنة ١٣٥٥ .

٨- ((لوامع الأنوار وهدايا الأسرار)) لعبد اللّه بن عبد الرحمن بلحاج بافضل من رجال القرن العاشر، مخطوط .

الأخرى ذات الطابع المخالف .

ولهذا فإن كافة الدعوات المتنوعة في ساحة الأمة الإسلامية لا علاقة لها من حيثيات الاختيارات الخاصة بمدرسة آل باعلوي ومواقفهم الثابتة من أمور محددة ذكرنا سلفاً بعضاً منها، وتظل علاقة طريقة أو مدرسة آل باعلوي مع بقية جماعات الأمة الإسلامية من حيث القواسم الإسلامية العليا التي يستظل ا الجميع .

٩- ((الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة)) لـ محمد بن عمر بحرق المتوفى سنة ٩٣١ ، مطبوع .

١٠- ((المطلب اليسير من السالك الفقير)) لعمر بن عبدالله بامخرمة المتوفى سنة ٩٥٢ .

١١- ((النفحات في التصوف)) لـ محمد بن علي علوي خرد المتوفى سنة ٩٦٠ ، مخطوط .

١٢- ((مقال الناصحين)) للشيخ محمد بن عمر باجمال المتوفى سنة ٩٦٤، مطبوع .

١٣- ((أوضح الحجج والمسالك)) للشيخ محمد بن عمر باجمال المتوفى سنة ٩٦٤ ، مخطوط .

١٤- ((جواهر الإحياء ومداواة الأولياء)) لشيخ بن عبد الله العيدروس المتوفى سنة ٩٩٠ ، مطبوع .

١٥- ((فتح باب المواهب)) للشيخ أبي بكر بن سالم المتوفى سنة ٩٩٢، مطبوع .

١٦- ((معراج الأرواح)) للشيخ أبي بكر بن سالم المتوفى سنة ٩٩٢، مخطوط .

١٧- ((أنس السالكين)) للسيد عبد الله بن عبد الرحمن باهارون المتوفى سنة ٩٩٠ ، مخطوط .

١٨- ((الدعوة التامة)) للإمام عبد اللّه بن علوي الحداد المتوفى سنة ١١٣٢ ، مطبوع .

١٩- ((تبصرة الولي بطريق السادة بـنـي علوي)) للإمام عبداللّه بن علوي الحداد ، مطبوع أدرجه الإمام عيدروس بن عمر الحبشي في كتابه ((عقد اليواقيت الجوهرية)) .

٢٠- ((النصائح الدينية)) للإمام الحداد ، مطبوع .

٢١- ((الدر المنظوم)) ديوان شعر للإمام الحداد، مطبوع .

٢٢- ((تثبيت الفؤاد من كلام الإمام الحداد)) لأحمد بن عبدالكريم الشجار الأحسائي،مطبوع.

٢٣- ((المكاتبات)) للإمام الحداد، مطبوع .

٢٤- ((إيضاح أسرار علوم المقربين)) لعبد اللّه بن جعفر مدهر المتوفى سنة ١١٦٠ ، مطبوع .

٢٥- ((الترقي إلى الغرف من كلام السلف)) لعبدالرحمن بن مصطفى العيدروس، توفي بمصر سنة ١١٩٢ .

٢٦- ((الروضة الأنيقة في أسماء أهل الطريقة)) ، منظومة للسيد عمر بن عبد الرحمن البار ، شرحها الشيخ عبداللّه بن أحمد باسودان في كتاب واسع سماه ((فيض الأسرار)) مخطوط .

٢٧- ((كـ البراهين)) لشيخ بن محمد الجفري المتوفى بالهند سنة ١٢٢٢، مطبوع .

٢٨- ((الحكايات الباهرات والكرامات البينات)) لعلوي بن أحمد الحداد المتوفى سنة ١٢٣٢ ، مخطوط .

٢٩- ((حدائق الأرواح في بيان طرق الهدى والصلاح)) للشيخ عبدالله باسودان، مخطوط.

٣٠- ((سلـم التوفيق إلى محبة الله على التحقيق)) لعبدالله بن حسين بن طاهر المتوفى سنة ١٢٧٢ ، مطبوع .

٣١- ((تعريف الخلف بسيرة السلف)) لـمحسن بن علوي السقاف المتوفى سنة ١٢٩٠ .

٣٢- ((شرح رشفات الأبرار)) لحسن بن عوض مخدم،توفي سنة ١٣٣١.

٣٣- ((العلـم النبراس في التنبيه على منهج الأكياس)) للسيد عبدالله بن علوي العطاس، توفي سنة ١٣٣١ ، مطبوع .

٣٤- ((الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر)) لعمر بن عبدالله باجمال من رجال القرن العاشر ، مخطوط.

وغير هذه كثير وكثير لا يتسع ا ال لحصرها، وفي الفصل التالي نقتطف بعض المقالات من هذه الكتب .

مقُولات السلَفِ مِن آلِ باعلَوي شاهِد على طريقَتِهم

كتب الإمام الشيخ علي بن أبي بكر السكران في كتابه ((البرقة المشيقة))[١]:

وأما ذرية الإمام شهاب الدين أحمد بن عيسى الذين أتوا حضرموت واستوطنوا تريم وكانت مسكنهم ومحلتهم فأشراف سنية، ذَوو أخلاقٍ عِلية، ومكارم سِنية، ونفوس أَبية، وهِممٍ علْوية، وعزائم مصطَفَوية، أرباب تواضعٍ طَبِعي، وكَرمٍ جِبلي، لهم في الخير وأهله محبة قوية، ومودة أكيدة شديدة، يمحون في ذلك رسومهم ، ويفنون نفوسهم، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان م خصاصة .

وكتب الإمام عبدالله بن علوي الحداد [٢]: إن سيدي أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر رضي الله عنهم لـما رأى ظهور البدع وكثرة الأهواء واختلاف الآراء بالعراق هاجر منها، ولـم يزل ينتقل في الأرض حتى أتى حضرموت وأقام ا حتى توفي، وبارك الله في عقبه حتى اشتهر منهم الجم الغفير بالعلـم والعبادة والولاية والـمعرفة، ولـم يعرض لهم ما يعرض لجماعةٍ من آل البيت النبوي من

(١) ((العلـم النبراس)) ص ٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠ .

انتحال البدع واتباع الأهواء المضِلة ببركة هذا الإمام المؤتمن، وفراره بدينه من مواضع الفتن[١].

وقال أيضا في موقع آخر : إنما يحسن وينبغي لـمن كان من آل أبي علوي أن يدعو الناس ليستتبعوهم إلى الطريق التي هم عليها، ولا يحسن أن ينبذوا طريقةَ سلفهم ويسجلوا على أنفسهم بأ م ليسوا من أولي الطريقة، اللّهم إلا أن يكون ذلك على سبيل التبرك، مع تمسكهم بسيرة أسلافهم واعتقادهم فيها، ومع ذلك فإنه لـم يبارك لأحد من آل لأبي علوي أبداً إذا طرح طريقتهم وتزيا بغير زيهم .

وقال الإمام الحداد أيضا في إشادته بموقف الإمام المهاجر وموقف الإمام الأعظم الفقيه المقدم : اثنان لهما أكبر المنةِ على آل أبي علوي : الشيخ أحمد بن عيسى، خرج م من البدع والفتن، والفقيه المقدم الإمام محمد بن علي، سلـمهم من حمل السلاح[٢].

ونقل السيد العلامة عيدروس بن عمر الحبشي في كتابه ((عقد اليواقيت الجوهرية)) عن بعض العلـماء وصفاً لطريقة السادة بني علوي قال فيها :

وقد جمع لهذا النسب الديني والطيني علـماً وعملاً وذوقاً وروايةً ودرايةً وتحقيقاً فروع السبط الثاني، أي ذرية الإمام الحسين بن علي، الجامعين

---

(١) المصدر السابق ص١٠-١١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢.

للـمثاني ((آل أبي علوي)) الذين من دخل في طريقتهم كان من فريقهم، وقيل له : ((قد أجرنا من أجرتِ يا أُم هاني))، و((سلـمانُ منا أهل البيت))، ووطن الجميع جامع الحقائق، بحر العلوم والـمعارف الدافق، علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه وعنهم . وأول من جمع النسبين وحاز الشرفين علي بن الحسين زين العابدين - ومنه إلى الإمام المهاجر - حتى انتهى السر الباهر، والـمجد العلي الظاهر، إلى كعبة المتوجهين، ووصلة المحققين والـمتشبهين، الأستاذ الأعظم، الفقيه المقدم، وغشيت أنوار طريقته الشعيبية[1] كافة من بالجهة الحضرمية، ثـم أشرق نورها وسرى سرها إلى كثير من خواص أهل الجهات، وعمت بركتها الآباء والأمهات .

وإذا أردت ذكر ما لهذه الطائفة وطريقتها في الحقائق والشعار، والرسوم والآثار، فانظر ما في ((المشرع)) و((الجوهر)) و((العقد النبوي)) و((الغرر)) و((قرة العين)) و((بهجة الفؤاد)) و((شرح العينية))، وغير ذلك من تلك الموارد، كما مرت الإشارة إلى ذلك .

---

(١) لو كان لآل باعلوي أدنى علاقة بمنهج الإمامية المتداول اليوم لكان أولى للفقيه أن يأخذ به ويسأل عنه ويحول مدرسة حضرموت إليه، ولكن الفقيه أخذ بمنهج التصوف كما أخذ به أهل السنة والجماعة، ولـما فيه من مصالح دينية واجتماعية تلاءمت مع الزمان والـمكان من طريق المدرسة الشعيبية المغربية، وهذا تفَرد عجيب مع أن عموم اليمن قد عمه الأخذ بالطريقة القادرية، وكانت منتشرة في عدن وأبين والتهائم .

فهؤلاء ومن لحق م جمعوا حلية الظاهر والباطن، فهم كالسلسلة إذا تحرك الأول منها تحرك الآخر، وكلهم سنيون وشافعيون أشعريون . انتهى من ((عقد اليواقيت)).

((فإذا علـمت ذلك فاعلـم أن طريق السادة آل أبي علوي نسجها على هذا المنوال، فظاهرها علوم الدين والأعمال، وباطنها تحقيق المقامات والأحوال، وآدا ا صون الأسرار، والغيرة عليها من الابتذال، فظاهرهم ما شرحه الإمام الغزالي من العلـم والعمل على المنهج الرشيد، وباطنهم ما أوضحه الشاذلية من تحقيق الحقيقة وتجريد التوحيد))(١).

وكتب أيضا السيد العلامة المحقق عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه ضمن جواب على من سأله عن طريق السادة آل أبي علوي :

أصل طريق السادة آل أبي علوي الطريقة المدينية طريق الشيخ أبي مدين شعيب المغربي، وقطبها ومدار حقيقتها الفرد الغوث الشيخ الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي الحسيني الحضرمي، تلقاها عنه الرجال عن الرجال، وتوارثها عنه الأكابر أولو المقامات والأحوال، ولكن لكو ا طريق تحقيق وأذواق وأسرار، جنحوا إلى الخمول والسر والإسرار، ولـم يضعوا في ذلك تأليفا، ولا صنفوا فيه تصنيفا، ومضت الطبقة الأولى على ذلك إلى زمن العيدروس وأخيه الشيخ علي، فاتسعت الدائرة وبعد المزار، واتصل م

(١) ((العلـم النبراس)) ص١٤-١٥.

القريب والـمنفصل ببعدِ الدار، واحتيج للتأليف، والإيضاح والتعريف، فظهر بحمد الله ما يشرح الصدور ويبهج النفوس، كـ ((الكبريت)) و((الجزء اللطيف)) و((المعراج)) و((البرقة)) وغير ذلك مما كثر واشتهر [1] .

فصارت طريقتهم قائمةً بنفسها [2]، ظاهرة شمسها، غنية عن التعريف، لشهرتها عند أهل المعرفة وشيوعها بكل تأليف وتصنيف، وقد سلف سلفنا الصالح على هذا الحال، يؤثرون التلقي بالتحقيق والأعمال، فلذا لـم يظهر التأليف في العلوم إلا في زمن تابع التابعين، لخوف اندراس ما هو معلوم، وكذلك الصوفية على هذا التأسيس، يتلقون ذلك بعضهم عن بعض إلى أن ظهرت البدع وخيف التلبيس، كما أشار إلى ذلك القشيري في ((رسالته))، فاحتيج إلى التأليف وإيضاح الدلالة، وقد قيل لأبي الحسن الشاذلي: لـم لا تضع تأليفاً في الطريق ؟ فقال : تأليفي أصحابي[3] .

(١) ((العلـم النبراس)) ص ٢٢ .

(٢) إشارة إلى استقلال مدرسة آل أبي علوي عن التأثر بأي منهج آخر، وهذا رد على مزاعم الذين يدرجون ((آل باعلوي)) لأغراضٍ في نفوسهم ضمن مناهج أخرى.

(٣) ((العلـم النبراس)) ص ٢٣ .

(ب) التسلسل الأفقي لطريق السادة بني علوي

أشرنا فيما تقدم أن التسلسل الرأسي يبدأ بالإمام الفقيه المقدم وما علاه من الإسناد والتسلسل إلى مصادره العليا .

التسلسل الأفقي يبدأ أيضا بالإمام والأستاذ الأعظم الفقيه المقدم، ثـم يجتمع مع الشيخ سعيد بن عيسى العمودي[1] الذي كان محباً ومنطوياً في

---

(١) ينسب الشيخ سعيد بن عيسى العمودي إلى الخليفة الأول أبي بكر الصديق كما حققه جملة من المؤرخين والباحثين، وأشارت إلى ذلك كتب التراجم والسير، ومنها في العصر القريب ((الشامل في تاريخ حضرموت)) للسيد علوي بن طاهر الحداد و((إدام القوت)) للسيد عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف .

ولد الشيخ سعيد بوادي دوعن ونشأ ا على شظف من العيش مشتغلاً برعي الأغنام والحرث مع أسرته، وكان يجالس العلـماء ويحضر دروسهم المنعقدة في المساجد، ولـم يتعلـم القراءة ولا الكتابة ولكنه كان حافظاً جيداً صافيَ الذهن ثاقب الفهم .

اتصل بالسادة آل أبي علوي مبكراً وتعلق م وأحبهم ، وسافر إلى تريم وما حولها للارتباط م حتى تقوت الصلات الروحية بينه وبين الفقيه المقدم ، ولـما جاء الشيخ الصالح المغربي مبعوث أبي مدين إلى حضرموت كان على علـم سابقٍ بالفقيه والعمودي، ولهذا بعد أن ألبس الخرقةَ للفقيه توجه إلى دوعن وألبس الشيخ سعيد وأقامه في مقام الفقر .

ومنذ ذلك الحين قويت صلات الفقيه بالشيخ سعيد وصارا يحملان هم

الفقيه، وتلقى الخرقة من الشيخ عبدالله الصالح المغربي، و بهما -أي : بالإمام الفقيه والشيخ سعيد بن عيسى العمودي- توطدت مدرسةُ آل باعلوي أو آل أبي علوي بحضرموت والعالـم، حيث أخذ عن الفقيه المقدم جملةٌ من المريدين وأخذ عن الشيخ سعيد عدد آخر، وكان لهولاء الأبناء والتلاميذ دور نشرِ قواعد المدرسة كلها كما هو مبين في الرسم البياني الآتي، واجتمع الفقيه بالشيخ سعيد ووضع معه أساس الطريق وثوابتها، ومنها :

منهج واحد . ولذلك سمي آل العمودي فيما هو متعارف عليه إلى اليوم ((خزانة آل باعلوي))، والـمقصود به حافظ سرهم وحامل راية دعوتهم النورانية .

كتب السيد علوي بن طاهر في ((الشامل)) : وقد كان آل العمودي وساداتنا آل أبي علوي متحِدِين من سابق الزمان ببركات اتصال سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي والشيخ الكبير العارف بالله الشيخ سعيد بن عيسى العمودي.

ومنذ أن أخذ الشيخ سعيد الطريق عن الشيخ الصالح المغربي وهو يعمل على نشر الطريق بالعلـم والعمل موطداً الطريق لـمنهج بني علوي في نواحي دوعن والسيطان . وقد أخذ عنه خلق كثير وانتفعوا به، ولـم يزل كذلك حتى وفاته بقيدون، وقام من بعده بالأمر أولاده وأحفاده ولـم يفرطوا في تلك المودة والصلات التي أُسست على التقوى مع بني علوي ، حتى جاء عصر الغثائية وصار المسلـمون تحت إمرة غيرهم، فتغير الحال ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وقد ترجمنا للشيخ سعيد العمودي ترجمة مستقلة ، وقد طبعت.

١- كسر السيف[١] .

٢- عدم المنازعة على الحكم .

٣- العمل على تثبيت منهج أهل السنة .

٤- نشر العلـم والدعوة إلى اللّه بالحكمة والـموعظة الحسنة .

---

(١)كسر السيف يقصد به تغيير الفقيه المقدم أسلوب حمل السلاح في الحياة الاجتماعية كما كان معتاداً، وقد قام الفقيه بكسر سيفه تعبيراً عن ذلك، وسلـمه للشيخ سعيد بن عيسى العمودي الذي حمله إلى دوعن ، ولا زال جزء السيف المكسور موجوداً إلى اليوم .

جاء في كتاب ((تاج الأعراس)) ص١٩٩ مطبوع : اعلـم أن سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي إنما تزيا بزي الفقراء وترك حمل السلاح الظاهر لأمور، منها :

الأول: أنه دعا لأولاده بأن يكونوا من أهل المقامات والأحوال بسلاح الباطن ، الذي هو البرهان المبين الحاضر المعبر عنه بسيف القدرة، فأصبحوا هم الملوك وهم أهل الشوكة والحماية .

الثاني: أن اللّه سبحانه وتعالى ألْهمه أن ذريته سيوف يكثرون بالجهة الحضرمية ، وكانت دولتها وقبائلها وأهل الشوكة فيها على غير قانون الشريعة، فإ م يقتلون البريء بالـمجرم ويأخذون مال البريء بذنب غيره، فلو حمل السلاح أولاد سيدنا الفقيه في حضرموت لكان منهم لأنفسهم الهلاك . انتهى. وقد توسعنا في هذا الجانب في ترجمتنا للأستاذ الأعظم، وقد طبعت.

وأظهر الله ذه الثوابت دولةَ العلـم والأخلاق بعد أن زهد رجالها في الحكم والـمنازعة، وأورثوا أبناءهم وأتباعهم هذه الصفات مع اهتمامهم الكلي بالإصلاح بين الناس ووضع المعاهدات مع القبائل لتأمين الطرق والأسواق ، وفض المنازعات التي قد يعجز عنها رجل السلطان ذاته، كما اشتغلوا بالحِرف النافعة المفيدة مثل الزراعة، وكانت حضرموت تزخر بالـمزارع ذات النخيل والبقول التي غرسها أولئك الرجال واعتنوا ا .

بل يعود الفضل لعدد منهم في استصلاح جملة من الأراضي وتشغيل الأيدي العاملة فيها، كما فعل الإمام محمد بن علي صاحب مرباط وكذلك الإمام الشيخ علي بن علوي خالع قسم والإمام الفقيه المقدم ومن جاء من بعدهم .

وبالجملة فآل بني علوي قد اتخذوا لأنفسهم وأتباعهم مدرسةً متفردةً لا ترتبط بأي منهج غير منهجهم الذي عِلـموه وارتضوه وعلّـموه إلى اليوم

وقد أدركنا بقيةً من شيوخ هذه المدرسة المباركة وأخذنا عنهم وارتبطت أسانيدنا بأسانيد علـماء البسيطة عن طريقهم، ولـم نسمع من كلامهم إلا ما يؤثَر عن سلفهم ، ولـم يقرئوا أو يقَرروا لتلاميذهم إلا ما قرره لهم أهلهم وأسلافهم الصالحون .

مخطط التسلسل الأفقي

مواقف جيل بني علوي المعاصرين من طريق أسلافهم

لـم تعد طريقة آل أبي علوي في حضرموت أو في غيرها من بلاد العالـم الإسلامي هي رائدة الفكر ورائدة تفويج طلاب العلـم كما كانت في عصر ازدهارها القديم، بل قد أصاب هذه الطريقة انتكاس فكري ونقص عِلـمي وعملي جعلها تتقوقع في صدور رجال معدودين، ولا تتعدى شخوصاً وأفراداً من نمطها القديم، وسبب ذلك أمور كثيرة منها ما يرجع إلى تأثر الأبناء والأحفاد بمدارس ومناهج العصر، ومنها ما يرجع إلى حملات غرضية منظمة تدفع ا قوى الشر في حياة البشرية، وشتان بين عصر الفقيه والسقاف والـمحضار والحداد وعصر الغثائية المعاصرة عصر البرمجة العالـمية والـمدرسة الإعلامية والسياسات التعليمية الهشة .

فمنذ أن بدأ الغرب والشرق يتنازعان المنطقة الإسلامية والـمسلـمون وكافة طرقهم الدينية وأساليبهم الدنيوية تتمزق وتتجزأ وتتحول من نمطها الفطري إلى البرامج السياسية المبرمجة، وكما تمزقت العلاقات الاجتماعية القديمة فالتعليم والآداب والـمدارس جزء لا يتجزأ منها، وقد كان التعليم لاحقاً للتربية في كثير من ا تمعات وبالأساليب التربوية الأبوية، كان الطلبة يدركون قيمة الآباء والأجداد الصالحين، ويرغبون في اتباعهم والاقتداء ديهم، وحمل راية علـمهم من بعدهم لانعدام مجال المنافسة من الأضداد، وأنى للضد أن يجد مكاناً في مجتمع كل أزمته بيد العقلاء من العلـماء والأولياء والـمربين، حتى الحكام الماضون -وإن كان الظالـم

شيمتهم في أحكامهم- فهم يعلـمون أن الدين ومظاهره لا يمثلها ولا يقوم ا إلا أهلها، وما ترك لهم بنو علوي مسألة الحكم إلا من باب المناصحة، فقد عرفوا قَدر بني علوي وأتباعهم فتركوا لهم العلـم والآداب والتربية، وارتضوا لهم ريادة الناس ودعو م إلى ر م على غير منافسة ولا مجادلة، ومن تجاوز من الحكام حده فأراد التدخل في مسائل العلـم وجد مِن الصد والجفاء والـمهانة ما يلزمه الأدب والتوقف .

هذا في العصور القديمة، أما في المراحل القريبة فقد برزت في حضرموت عوامل جديدة كما برزت في مناطق أخرى، أسهمت في إغرابِ جيل المدرسة الحديثة سواء من بني علوي أنفسهم أو من أتباعهم ومحبيهم، نحو شعارات التعليم الحكومي ومستوياته وشهاداته وطموحات الأعمال الإدارية والوزارية والتجارية، وانقلبت منذ وضعت الدول الغربية يدها على العالـم الإسلامي بما في ذلك جانب من بلاد اليمن وحضرموت موازين العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية رأساً على عقب، كما أن هجرة المئات بل الآلاف من بني علوي نحو العديد من البلدان البعيدة وانشغالهم بالدنيا وتحصيلها والاهتمام بالتجارة وأسبا ا قَطَع الكثير منهم عن خدمة منهج أسلافهم ونشره والـمحافظة عليه وإن بقي مظهر الارتباط الوجداني والعاطفي مستمراً وقائماً .

وقد كان العديد من شيوخ بني علوي يشنون النكير تلو النكير على الرحلة من حضرموت، كما يشنون النكير على من تأثر من أبنائهم

بالـمظاهر الخارجية والدعوات الفكرية المتنوعة، ومن هذا النمط نرى السيد العلامة عبدالله بن أبي بكر عيديد يبرز للجيل من بني علوي وغيرهم ما اعتراه عند دخوله إلى إندونيسيا في سبيل البحث عن أسباب الرزق فيقول:

رحِيلُ المرءِ مِن ذي الأرضِ أولى … فهلْ مِن سامِعٍ للنصحِ أو لا ؟

تلاف العمر قبلَ تلافِ نفْسٍ … وقبلَ تصِير تحت الأرضِ رملا

فلا إنْ عِشت ترضاها مقَراً … ولا إنْ مِت ترضاها محلا

ومِن عادا ا الإنسانُ ينسى … ا وطناً وأولاداً وأهلا

محبته الذِي اتخذوه بعلاً … تنسيهِ الذي ربوه طِفلا

وللأبيات بقيةٌ ليس هنا موقعها وإنما هي رمز لحال أولئك الذين تفرقوا في البلاد ولـم يحافظوا على منهج أسلافهم الكرام ، وقد ألْزمتِ الحياةُ والأسباب كثيراً من الصالحين أن يسافروا عن أوطا م ؛ ولكنهم حملوا معهم منهجهم ودعو م التي ورثوها عن آبائهم وأسلافهم، فلـم يبيعوها برخيصٍ، بل صاروا أعلاماً وأئمة هدى في بقاع الأرض التي نزلوا ا، وقد وصفهم الشاعر فقال :

تحيى بِهم كُل أَرضٍ ينزِلُونَ ا … كأنهم لِبقاعِ الأرضِ أمطار

فأنار منهم دروب العالـم الإسلامي بمنهج الكتاب والسنة على طريق السادة بني علوي غير مبدلين ولا محرفين، وهولاء كثير وكثير.

ولكن الأزمة حلت بالعالم كله عشيةَ دخول الأمة إلى عصر الغثاء وسياساته، فهذه السياسة كانت أكبر حجماً وأشد وطأةً، وانتقل أمر تخطيط الحياة من علماء وحكام البلاد الاسلامية والمناطق العربية إلى براثن الإدارات الحكومية الموجهة ذات الارتباط المباشر والمصالح المشتركة مع القوى المستثمرة في العالم .

ومع أن ظاهر هذا العلم والنشاط القائم في العالم الإسلامي لم يصرح بالحرب ضد المدارس التقليدية ؛ لكنه زاحمها مزاحمةً غير متكافئة، وقدم من التسهيلات والمنافع للإنسان المسلم مقابل خدمته لبرامج المدرسة الحديثة عروضاً مغريةً، جعلتِ العديد من العقلاء يسارعون إلى الوظائف وينخرطون في الأعمال الإدارية والسياسية والاقتصادية الربوية، حتى صار هم الواحد منهم في الحياة مستقبلُ أبنائه في هذه الخدمات وتوظيفهم في الأجهزة الحكومية الرسمية على أي صفة كانوا، وكان حجز جيلٍ كاملٍ عن منهج أسلافه وأعمالهم كافياً وحده لتغيير الرؤية العلمية في العقل المعاصر.

فالتدريس منذ عشرات السنين في حضرموت واليمن والحجاز ومصر والشام والعراق والمغرب وغيرها من البلاد إنما هو عبارةٌ عن برامج تعليمية لتخريج جيل الخدمات العامل في سوق العرض والطلب، وحتى عالم هذه المرحلة ورجلُ دينها إنما وظيفته إشغال الفراغ الروحي المناسب في المسجد والبرامج الدينية والقضاء والتدريس، وغيرها من المسائل ذات

الارتباط بخدمة الهياكل الرسمية، وهناك العشرات من الأحفاد المنتمين لذات المدرسة المتحدث عنها في هذا الكتاب إنما أخذوا علومهم من ألفها إلى يائها داخل المدرسة الحديثة، وتدرجوا في مراحلها، ثـم انتقلوا إلى الحياة العملية الغثائية جزءً لا يتجزأ من الآلة الموجهة لخدمة جانب معين من جوانب الحياة المبرمجة.

وتجد أكثرهم أدباً والتزاماً ذلك الذي يمارس حياته الاجتماعية والعلـمية دون أن يتعرض لـمنهج أهله وسلفه بكلامٍ أو نقد، أما أولئك الذين قذفت م هذه المراحل المتطورة حتى لُجج المعرفة الجدلية ؛ فلـم يسلـم من ألسنتهم وأقلامهم تاريخ ولا عالـم ولا عبد من عباد اللّه الصالحين، ذاك لأ م جاؤوا ثـمرةً من ثـمرات التمرحل المدروس من عصر حجز المسلـمين عن مناهج السلف، حتى عصر التمركس والتشرذم والتعصب والتحزب والبرمجة الدينية المقبوضة، التي لا تسمح للباحث أن يقيم مجتمعه وواقعه، بينما تمنحه عظيم الألقاب ونياشين الشرف وهدايا الإبداع إذا تناول من اجتمعت على ثلب منهجه أو طريقته مؤسسات النقض والقبض المعاصرة .

ومن هذا الركام برز في بني علوي أفراد يتبنونَ أقاويل وأضاليل تأثراً بالـمدارس التي تعلـموا فيها، وبالـمجالسين الذين جالسوهم، وربما يكون بعض هؤلاء من شباب التمرحل الحديث الذي يحسن كل شيء

عاصره إلا الكلام عن طريق ومنهج أهله وسلفه ؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه .

وكما أشرنا في الفصول السابقة أن ((بني علوي)) مدرسةً ومنهجاً غير ((بني علوي)) عِرقاً وأصلاً، فالعرق والأصل شرف يجمع الكل سواء كان علوياً من حضرموت أم إندونيسيا أو من أي بقعة في العالــم، فالنسب واحد والأصل واحد، وأما المدرسة والطريقة فلا يقبل كلام أحد لها أو عليها إلا من كان من أهلها، وأخذ عن رجالها، وارتبط بإسنادها المتصل تحقيقا إلى النبي صلى اللّه عليه وآله وسلــم، ومن كان حاله هكذا لن يفرط في منهجه وطريقته أياً كان حجم الإغراء والعلــم .

وأما الذي لا يفرق بين منهج المهاجر بعد دخوله إلى حضرموت وبين الذين بقوا في أرض الرافدين تحت المذهب السائد ؛ فلا يصلح منه التعرض لــما لا يعلــم وإن كان ينتسب إلى ((بني علوي))، فالنسب شيءٌ، والكلام عن النهج والطريقة شيءٌ آخر، ورحم اللّه امرءً عرف قَدر نفسِه .

الخاتمة

أيها المعنيون بالأمر من آل أبي علوي ومن تبعهم قديماً وحديثاً.. السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته..

أنتم تنتمون إلى آل البيت النبوي الثقَل الأصغر وسفن النجاة.. فاحذروا كل الحذر من الوقوع في فتن المراحل والتمرحل..

لقد وصلت الرياح الصفراء إلى حضرموت، وهزت شجرة العا ـم والأولياء حتى كادت أن تسقطها بعد أن أسقطت كثيراً من أغصا ا وأوراقها وث ـمارها.. وهبت ريح حمراء اقتلعت الجزء الأكبر من الشجرة ودمرت خضرة الحياة في بواقيها.. ونبت في جذر الجذر نبت صغير نما ونما ولا زال ينمو وينمو.. برغم الرياح التي ـب منذ التحولات القريبة .

والخشية كل الخشية من رياحٍ جديدةٍ قادمةٍ شعارها رعايةُ نبات الشجرة وريها.. ولكن ليس بالـ ـماء المعهود.. وإنما بماءٍ آسِنٍ ممزوجٍ بالقطران ومخلفات البترول.. فنسألك اللّهم العفو والعافية.. وأن تحفظنا من شر ما تأتي به الرياح..

المؤلف

تـ ـم الفراغ من هذه الرسالة مساء الأربعاء في الثالث عشر من
جمادى الأول عام ألف وأربع مئة وسبعة عشر
للهجرة النبوية بمدينة جدة المحروسة

الملحق

ارتأى فرع الدراسات والـمناهج وخدمة التراث التابع لأربطة التربية الإسلامية بعدن إلحاق هذه الملحق بكتاب «الأبنية الفكرية» هذا بصفته الناشر للكتاب ، ولـم يمانع المؤلف من ذلك ، وقد تقّدم في حاشية ص١٩ أن هذا الملحق لا علاقة له بما يكتبه المؤلف وإنما هو زيادة استفادة للقارئ ، وأنه تحت المسؤولية العلـمية للفرع.

ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: عرض موجز للأبحاث التي أُلفَت في مذهب الإمام المهاجر.

المطلب الثاني: دراسة حول احتمالية تمذهب المهاجر بمذهبٍ ما من خلال تاريخ التشريع الإسلامي للمذهبين: الشافعي والإمامي.

المطلب الأول: عرض للأبحاث التي أُلفت في هذا الموضوع

شغلَت هذه المسألةُ المذهبية أذهانَ العديد من الباحثين خصوصاً في القرن الماضي ، وألف بعض علماء حضرموت رسائلَ خاصةً تتناول مذهب المهاجر ، وأول من كتب في هذا المضمار من المتأخرين الإمام المؤرخ العلامة السيد عبد الرحمن بن عبيد اللّه في الموضوع في رسالة سماها ((نسيم حاجر في مذهب الإمام المهاجر)) ذهب فيها إلى أن الإمام المهاجر إمامي بمعنى الإمامة الباطنة التي هي مقام القطبانية الذي توارثه آل البيت عن سيدنا علي رضي اللّه عنه ، ونزه الإمام المهاجر وأجداده خصوصا سيدنا علي عليه السلام وذريته عن سب الصحابة ، وعن التقية ، وعن غيرهما من أفعال الروافض بأسلوبه القوي وذكر بعض قصائده البليغة في هذا التنزيه ، واستشهاده بعدة نقول عن كتب الإمام المؤيد باللّه يحيى بن حمزة صاحب التصانيف في الدفاع عن الصحابة .

والحال أن الإمام عبدالرحمن بن عبيداللّه السقاف لم يطلع على تفاصيل رأي غيره في الموضوع بل ذكر في مقدمة الرسالة أنه بلغه أن هناك من يقول بشافعية المهاجر ، وأنه -أي: ابن عبيداللّه- ينزه المهاجر عن تقليد الشافعي، فهو معارض لذلك.

وكتب في ذات الزمان العلامة المؤرخ السيد علوي بن طاهر الحداد مفتي جوهور رسالته ((إثمد البصائر بالبحث في مذهب الإمام المهاجر)) ذهب

فيها إلى معارضة ما بلغه عن قرينه ابن عبيداللّه من إمامية المهاجر ، ولـم يطلع على ((نسيم حاجر)) بل أخبره بعض طلابه برأي ابن عبيداللّه وتوهم هذا الناقل أنه إنما عنى الإمامة بمعنى المذهب وما يستلزمه من السب والتقية وغيرها .

فكتب رسالته ورد فيها على القصة التي يستدلون ا على إمامية العريضي المذكورة في ((المشرع)) ، وفصل الكلام على روا ا ومصادر نقلها ، ثـم انتقل إلى الكلام على قوت القلوب وأبي طالب المكي وكتب دراسة مستفيضة عن الكتاب ومؤلفه مثبتاً قراءة عبيداللّه ابن الإمام المهاجر لهذا الكتاب على مؤلفه في الحجاز .

ثـم أردف الإمام ابن عبيداللّه رسالته ((نسيم حاجر)) برسالته الثانية ((سموم ناجر في الرد على إثـمد البصائر))[1] مع عدم اطلاعه على ((الإثـمد)) كما ذكر في المقدمة ، ومفادها التأكيد على ما عناه في رسالته الأولى ، وأنه في ((نسيم حاجر)) إنما عنى الإمامةَ المتوارثةَ في آل البيت كمقام روحي ((القطبانية))[2].

---

(١) وهي عبارة عن تلخيص أملاه على نجله العلامة السيد حسن بن عبدالرحمن للفصل الخامس من معجمه التاريخي الضخم ((بضائع التابوت)) مع شيء من الزيادات والتعديلات كما ذكر في المقدمة .

(٢) ولا يخفى على أي قارئٍ لكلتا رسالتيه ((النسيم)) و((السموم)) وجود شيء من العبارات في تضاعيفهما توهم أنه يقصد الإمامة بمعنى المذهب ، مما قد يوقع بعض

ومما قاله في آخر ((سموم ناجر)) مخطوط : وقد راجعت في ذلك -أي الإمامة بمعنى القطبانية- أخانا الذي انتهت إليه رئاسة الإرشاد في تريم السيد علوي بن شهاب الدين فقال لي : إن ذلك مما أصفقوا عليه - أي: أجمعوا - ولا حاجة للتأليف في ذلك .

ثـم ألف السيد العلامة عبد اللّه بن حسن بلفقيه رسالة سماها ((صبح الدياجر في تاريخ الإمام المهاجر)) ، ذكر فيها أن مذهب الإمام المهاجر كان ((الشافعية)) .

ثـم وجه المؤرخ السيد العلامة صالح بن علي الحامد سؤالاً في ذلك الموضوع إلى معاصره السيد العلامة علوي بن طاهر الحداد ، فأجاب على سؤاله بشيء من التخصص والتعمق في رسالته ((جنى الشماريخ من جواب أسئلة في التاريخ)) وأبرز فيها بالأدلة نفي مذهب الإمامية القائلة بالأقاويل الباطلة عن معتقد الإمام المهاجر ، وأن إمامية المهاجر هي إمامية آبائه وأجداده أئمة أهل البيت الحق .

هذا موجز لـما كتب في بداية الأمر ، ثـم جاء من بعدهم المؤرخ السيد محمد بن أحمد الشاطري في ((الأدوار)) فوقف موقفا وسطا وقال :

القراء في حيرة من مقصد المؤلف ، فيتهمه باضطرابه في رأيه؛ ولكنه وهم كبير. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على غزارة علـم هذا الإمام وقوة أسلوبه رضي اللّه عنه، وقد توهم قوله بالإمامية بعضهم ولـم يقفوا على حقيقة رأيه من خلال قراءة كلتا رسالتيه .

إن المهاجر وإن كان يعتنق المذهب الشافعي لا يقلد الشافعي تقليداً أعمى ، فهو أجل من ذلك ، كيف وأمامه الكتاب والسنة اللذان هما أساس المذهب الشافعي ، وكذلك عقائده الإسلامية هي عقائد آبائه وأجداده كالباقر وزين العابدين.

ورأي المؤرخ الحبيب محمد بن أحمد الشاطري هو الأقرب هنا من أن الإمام المهاجر كان مجتهداً لا مقلدا ، وسنذكر هنا مجموعة من أهم النقول التي يحتاج القارئ لاستقرائها بهذا الصدد ، ثم نختم المبحث بالخلاصة :

أما السيد ضياء شهاب فيقول في كتابه ((المهاجر)) ص٨ : تذكر الكتب الحضرمية أن مذهب الإمام المهاجر هو مذهب آبائه وأنه تلقاه عن أبيه وجده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن طريقة العلويين متلقاة عن آبائهم الواحد تلو الآخر ، وهذه السلسلة يحفظها العلماء ويوصلونها إلى الإمام المهاجر وأبيه وجده إلى الإمام علي بن أبي طالب .

وكتب أيضا : أخذ الإمام المهاجر عن أبيه عيسى الذي يقول العمري فيه أنه كان نقيباً ووجيهاً -ويعرف بالرومي- عن أبيه محمد النقيب ، وأخذ محمد النقيب عن أبيه علي العريضي بالمدينة المنورة ، وكان علي العريضي نقيباً للأشراف وشيخ بني هاشم بالعريض ، ولا يتولى النقابة إلا من اجتمعت فيه شروط النقابة وهي مذكورة في مظانها ، والعريضي تلقى عن والده الإمام جعفر الصادق ، وأخيه موسى الكاظم وابن أخيه علي الرضا ومحمد الجواد .

وجاء في ((مجلة الرابطة)) بقلم السيد علوي بن طاهر الحداد نقله عنه ضياء شهاب في ((المهاجر)) بعد ذكره ما أصيب به آل البيت منذ عهد علي كرم اللّه وجهه : أنهم كانوا على سيرة أوائلهم ، وأنهم مكثوا بذلك برهةً حتى انتشرت المذاهب ومالت الأمة الإسلامية إلى التمذهب بمذاهب خاصة، فاختاروا مذهب الإمام الشافعي تدريسا وقضاء ، وذلك بعد الخمسمئة[1].

وقال السيد علوي بن طاهر في ((جنى الشماريخ)) ص١٨ : مع العلم أن مذهب الشافعي كان موجوداً باليمن وإن لم يعم ، فقد نقل السخاوي عن الجَنَدِي بأن مذهب الشافعي انتشر في اليمن في حدود سنة ٣٠٠ ، وأنه كان في اليمن علماء حنفية وكثير من الزيدية والعثمانية بحضرموت ، والعثمانية هم النواصب وإسماعيلية بالجبال ، وغيرهم من الطوائف.

أما عقيدة الإمام المهاجر فهي عقيدة آل البيت من آبائه في الأصول ، إذ لم يعرف بعد في عهده منهج أهل السنة عقيدة الإمام الأشعري، فالأشعري جاء من بعده في أوائل القرن الرابع الهجري ولم ينتشر مذهبه في العراق إلا في سنة ٣٨٠[2] .

---

(١) المهاجر ص٨٠ .

(٢) المرجع السابق .

والخلاصة أن الراجح من استقراء النصوص السابقة أن مذهب الإمام المهاجر هو مذهب آبائه وأجداده من سلسلة آل البيت ، وأن التمذهب بمذهب الشافعي كان في فترة متأخرة وباختيار واجتهاد من أكابر أهل البيت، فالراجح من استقراء النصوص أنه كان مجتهداً ؛ ولكن أيضا رجح بالاجتهاد لا التقليد العمل بالـمذهب الشافعي مع بداية ظهوره .

وأما التصوف فلا يبعد أن يكون الإمام المهاجر قد تأثر بمعناه كما تأثر ابنه أيضا الذي حج عام ٣٧٧ ، واتصل بأبي طالب المكي وقرأ عليه في كتابه ((قوت القلوب)) ، وهو زبدة علوم التصوف آنذاك .

كتب السيد علوي بن طاهر في ((إثـمد البصائر)) ص٨٥ مخطوط : ولا يبعد أن الإمام المهاجر وابنه كانا متصوفين، فإن المتصوفة والعباد كانوا بالبصرة أكثر من غيرها ، وكان بها أبو الحسن بن سالـم الزاهد ، وهو أحمد بن محمد بن سالـم الزاهد البصري كبير السالـمية ، وكان له أحوالٌ ومجاهدات، وعنه أخذ الأستاذ أبوطالب المكي ((صاحب القوت)) ، وهو آخر أصحاب سهل التستري، توفي سنة ٣٦٠، وذكره في ((شذرات الذهب))[1].

---

(١) هو الإمام أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي، نشأ بمكة ووعظ ببغداد ، توفي سنة ٣٨٦ ، أخذ عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالـم وأبي سعيد ابن الإعرابي وأبي عثـمان المغربي وغيرهم . له كتاب ((قوت القلوب)) الذي تلقاه كافة علـماء السلف بالقبول وأثنى عليه جمع غفير منهم ، قال فيه إمامنا الحداد :

ومؤلفِ ((القُوتِ)) الذي انتفع النهى   بكِتابِه أحسِن بِهِ مِن لَوذَعِي

ونقل المؤلف ضياء شهاب في كتابه ((المهاجر)) عن مقالات السيد علوي بن طاهر قوله : ولقد كانت البصرة عش المتصوفة وقدماء النساك والعباد المشهورين ، والمعدودون من سلف المتصوفة كانوا منها ، وكان تصوفهم لوناً آخر غير ما نتوهمه الآن ، فهو تمرين للنفس على العمل بالعلم والتخلق بالأخلاق الحسنة والتحقيق بحقائق الإيمان ، ومطالبة النفس بإحكام العبودية، فهو تصوف خال عن أوضاع أهل الطوائف ورسومهم[1].

وهذا ما يشير إلى أن ملامح التصوف كسلوك وأخلاق قد بدأ ظهورها مع الإمام المهاجر ، ثم مع أبنائه وأحفاده ، وأما انتشار التصوف كرسوم وطريقة فجاء متأخراً على يد الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم في القرن السابع.

أشار بقوله : ((الذي انتفع النهى بكتابه)) إلى سيدنا الشيخ عبيد الله بن أحمد بن عيسى ، فإنه -كما كان في ترجمته- قرأ ((قوت القلوب)) المشار إليه على مصنفه ، وإلى الإمام الغزالي ، فإنه انتفع به انتفاعاً كبيراً ونقل منه في ((الإحياء)) في مواضع كثيرة. انتهى عن ((إثمد البصائر)) مخطوط ص٨٩ بتصرف، وقد أطال البحث في ترجمته ، وتقَصى ما ذَكَرته كتب التاريخ عنه.

(١) راجع ((الإمام المهاجر)) لضياء شهاب ص٨١.

المطلب الثاني: دراسة حول احتمالية تمذهب المهاجر بمذهبٍ ما من خلال تاريخ التشريع الإسلامي

كتب العلامة المكي د. محمد إبراهيم أحمد علي دراسةً حول مفهوم ((المذهب عند الشافعية)) بحث فيها التطور الفكري للمذهب الشافعي عبر التاريخ ، وبين أن المذهب الشافعي مر بأربع أطوار ومراحل حتى تبلور واستقر :

الطور الأول : مرحلة التأسيس ، وتتمثل في حياة الإمام الشافعي رحمه الله.

الطور الثاني : مرحلة النقل ، وتتمثل في دور تلاميذ الإمام في نشر المذهب من العراق ومصر إلى مختلف البقاع ، وإنما كانوا ينشرون قواعد الإمام الاجتهادية التي نص عليها في ((رسالته)) طليعة المؤلفات الأصولية وبثها في كتابه ((الأم)) ومجالسه مع اجتهادا م الخاصة الكثيرة التي قد يخالفونه فيها في الأحكام ، مع التزامهم بالأصول التي وضعها الإمام . وانتهت هذه المرحلة مع ظهور مصنفات الشيخين: النووي والرافعي .

الطور الثالث: مرحلة التحرير ، وتتمثل في جهود النووي والرافعي في تحرير مختلف مسائل المذهب وتدوينها مدللة معللة الجهود التي أهلت كتبهما لتصبح محور المذهب ومرتكزه فيما بعد .

الطور الرابع : مرحلة الاستقرار ، وتتمثل في عصر الأئمة : شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، والخطيب الشربيني ، والرملي ، وابن حجر الهيتمي، وغيرهم ، الذين تناولوا كتب النووي والرافعي بمزيد من التحقيق والخدمة ، وبحثوا فيما سكتا عنه من المسائل والـمباحث ، وربما خالفوهما في اختيارا م العلـمية الخاصة .

والحقيقة أنه لـم يتميز المذهب الشافعي ذا التطور فحسب ، بل شابه غيره من المذاهب في ذلك ، فكل مذهب يقوم **نقلته** بنشره بعد وفاة **إمامه** ثـم يأتي الم**حررون** ، وبعدهم الم**تأخرون** .

وبعد هذا العرض يطمئن الباحث إلى أن المذهب الشافعي لـم يكن في يومٍ ما من القرن الرابع مذهباً متبلوراً حتى يتمذهب به ، بل كان متجسداً في مجموعة من تلاميذ الإمام وتلاميذهم قواعد أصوليةً يفرعون عليها .

وللتوسع في ذلك انظر هذا البحث النفيس في مجلة الجامعة الإسلامية المنشورة بالمدينة المنورة ، وانظر لـمعرفة أعلام طبقة الإمام المهاجر من علـماء الشافعية كتاب الدكتور محمد هيتو ((طبقات مجتهدي الشافعية)) .

وننتهي من هذا إلى أن شخصية المهاجر كانت اجتهاديةً في تلك الفترة المبكرة من تاريخ المذهب الشافعي .

ولتلاحظ -أخانا القارئ- أن أغلب المذاهب تم إرساؤها قبل مؤسسيها في القرن الثالث ، ثـم انتشرت في الرابع والخامس على شكل آراء علـماء مجتهدين يبلورون مذهب إمامهم وينظّرونه و((يصنعون)) مؤلفات المذهب ((**الكتب**)) ، أو نقَلَة المذهب ((**التلاميذ**)) .

وإمامنا المهاجر - لو افترضنا له التمذهب بأي مذهب شاء - فمن الضروري - على أقل تقدير - أن يعتبر من رواد المذهب ونقلته ، ثـم يحسب على رجال المذهب ويترجم له في طبقا م أو يذكر في تاريخ مذهبهم ، إن لـم يظهر أثره في أصحابه أو ذريته فيما بعد . فضلا عما إذا صنف مصنفا .

ومن المعلوم أن هجرته كانت في بداية القرن الرابع عام ٣١٧ . ولهذا وذاك يصعب الحكم على مثله بأنه متمذهب بأي مذهبٍ كان في تلك الحقبة المتقدمة.

فأما عن تمرحل المذهب الإمامي والتطور الفكري فإن المذهب الإمامي المستقر الآن لـم تتبلور عقائده المتمثلة في أصل ((الإيمان بعصمة الأئمة الاثني عشر وإمامتهم)) -وإن كان الفقه موجوداً منذ عصر الإمام جعفر الصادق- إلا في آخر القرن الرابع الهجري على الأقل [1] ، أي: في عصر

(١) انظر ((إيران من الداخل)) لهويدي ص٥٧ نقلا عن كتاب د. علي شريعتي الضخم ((معرفة الإسلام)) أو ((إسلام شناسي)) بالإيرانية الذي درس فيه

الدولة البويهية ، والتي تعاطف أصحا ا -نوعاً ما- مع علـماء الشيعة وجعلوا لهم متنفساً خصوصاً مع الحرية الفكرية وحركة ترجمة كتب الفلسفة اليونانية وغيرها والتي أتاحوها وشجعوها [1] .

إذ من المهم تقريره هنا أن المذهب الإمامي المعروف الآن له شعار واحد رئيس ثابت، من لـم يقل به لا يعد إماميا بتاتاً، وهو الإيمان بعصمة الأئمة الاثني عشر بأسمائهم وترتيبهم المذكور في كتبهم.

ولذا فإن أصلَ الإمامة والإيمان بالأئمة الاثني عشر بأسمائهم تلك وعددهم هذا لـم يكن آنئذ قد تحدد على سبيل القطع، لأن الغيبة الكبرى لـم تتحدد إلا فيما بعد هجرة الإمام المهاجر، أي: بعد عام ٣١٧ [2] ، ومن

التطور الفكري للإمامية ، وكتاب فاضل رسول ((هكذا تكلـم علي شريعتي)).

(١) على أن ذلك لا ينفي ما نقل من اضطهادهم للشيعة كحرقهم لـمكتبة الشيخ الطوسي عام ٤٤٧ ، ولذلك قيدنا بقولنا : ((تعاطفوا نوعاً ما)) ، راجع ((الشيعة في موكب التاريخ)) للسبحاني ص٩٧ .

(٢) وكانت عام ٣٢٩ وذلك بوفاة سفيره الرابع والأخير للإمام المهدي علي بن محمد السيمري ، وفي بحث الغيبة انظر: ((في انتظار الإمام)) لعبدالهادي الفضلي ص٣٠،٣١،٤٧،٥٤،٩١،٩٧ و ((المهدي المنتظر)) للشيخ محمد حسن آل ياسين، و((بحث حول المهدي)) لآية الله محمد باقر الصدر ص٦٣ وما بعدها، و((الحكومة الإسلامية)) ص٢٦ وما بعدها لروح الله الخميني ، نقلا عن ((الدولة في ميزان الشريعة)) د. الحلو حاشية ص٦٧.

المعلوم أن الكثير من عقائد الإمامية بدأت تستقر بعد إعلا ا فضلا عن الكثير من أحكامهم الفقهية[(١)] .

ومما يبين ذلك المقارنة بين كتب الصدوق محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي (ت ٣٨١) -وهو أحد أصحاب الكتب الأربعة التي عليها مدار المذهب- وكتاب والده الصدوق علي بن الحسين (ت ٣٢٩) ((الإمامة والتبصرة من الحيرة)) حيث يظهر أن الوالد يتعرض للأئمة وعددهم دون أية لإشارة للعدد ((اثناعشر)) ، بينما نجد الابن واضح المنهج في تحديد العدد باثني عشر كعقيدة راسخة يلزم الإيمان ا.

ومن بحث هذه النقطة وتتبع الكتب المؤلفة قبل الغيبة الكبرى والكتب المؤلفة بعدها ومواضع الأعداد فيها الباحث عبدالله بن إسماعيل حميد الدين في رسالته ((تعليقات على الإمامة عند الاثني عشرية)) ص٦٦-٦٨، فنحيل القارئ على ما ذكره والعهدة عليه[(٢)] .

---

(١) ومن الدراسات الأكاديمية المستفيضة في بيان تأثير أصل الإمامة في فقه الإمامية ومقارنة ذلك بفقه أهل السنة أطروحتا الماجستير والدكتوراه التي تقدم ا أ.د.محمد علي السالوس إلى الأزهر وكان قد درس من قبل في دار التقريب بين المذاهب، وتوضحان بجلاء تأثر أحكامهم الفقهية وقواعدهم الأصولية ا بحيث تزداد صعوبة التقارب بين فقههم وبين فقه مذاهب أهل السنة.

(٢) ويضيف هذا الباحث بأن كتب أئمة الشيعة قبل إعلان الغيبة الكبرى خالية من مفهوم الغيبة الكبرى، أي: التي تتجاوز العمر الطبيعي للإنسان، وخالية من مفهوم

الرقم ((اثناعشر)) وتحديد الأئمة به كعقيدتين يلزم الإيمان بهما على المكلف حيث إنه الأصل الأصيل لمذهبهم، ومن هذه الكتب يذكر:

١- ((فرق الشيعة)) للنوبختي (ت أول القرن الرابع).

٢- ((المقالات والفرق)) لسعد بن عبدالله القمي (ت ٣٠١) .

٣- ((بصائر الدرجات)) في فضائل الأئمة لمحمد بن حسن الصفار (ت ٢٩٠)، وفيه إشارات بسيطة في أربع روايات للرقم ((اثناعشر)) .

٤- كتاب المحاسن لأحمد بن محمد البرقي (ت ٢٧٤ أو ٢٨٠) ، وهذا يذكر أرقاماً أخرى للأئمة من ((ثلاث)) إلى ((ثلاثة عشر)) ، ولا أثر للرقم ((اثناعشر)) .

وأما الكتب التي ألفت بعد الغيبة الكبرى فقد كان منهجها واضحا في تحديد الأئمة وترسيخ ذلك كعقيدة وأصل أصيل للمذهب، من ذلك كتب ابن بابويه الابن السالف الذكر في ((كمال الدين وتمام النعمة)) و((الخصال))، والنعماني (ت ٣٦٠) في ((الغيبة))، والخزاز القمي (ت ٣٨١) في ((كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر)) .

وحتى نفترض تمذهب المهاجر بمذهب الإمامية لزم كون المذهب قد تبلور[1] قبل سنة ٣١٧ سنة هجرته حتى يتمذهب به ، وهذا غير ممكن تاريخياً إذ لم توضع أمهات الكتب الإمامية بعد «كالاستبصار» و«تهذيب الأحكام» كلاهما للطوسي (ت ٤٦٠) و«الكافي» للكليني (ت ٣٢٩) و«فقيه من لا يحضره الفقيه» لابن بابويه القُمي (ت ٣٨١) ، وهي الكتب الأربعةُ التي بني عليها جل المذهب[2] .

هذا كله من جهة.. ومن جهة أخرى فقد مر المذهب الإمامي بعدة مراحل أبرزها مرحلتان ويمكن أن نسميهما أيضا «اتجاهين» : الاتجاه الأخباري أو المدرسة الأخبارية، والمدرسة الأصولية.

فأما الأولى فهي تحرم الاجتهاد بالقياس وغيره ، وتحرم التقليد أيضا ، وتوجب الأخذ بآثار العترة الطاهرة عليهم السلام دون مصدر آخر ، وتتهم المدرسةَ الأصوليةَ بأنها نحت منحى أهل السنة في الأخذ بالعقل مثل مذهب الأحناف، وتقول: إن الأئمة ينظرون إلى العلماء كنقلة تراث فقط. وأما

(١) معنى «تبلور» أي : أن تكون أمهات كتب المذهب -على الأقل- قد دونت وعقائده قد رسخت حتى ينطلق تلاميذ مؤلفيها الدعاةُ والمدرسون وينشروا من خلالها الفكر أصولا وفروعا. وإلا فإن ذلك المذهب لا يزال في فترة مبكرة انحصر فيها رواده ونقَلَته ضمن أعلام معروفين ترجمت لهم كتب طبقات المذهب التي من أبرزها الموسوعة الضخمة «أعيان الشيعة».

(٢) انظر مقدمة «أصول الكافي» بتحقيق علي أكبر الغفاري ص١-٢ .

الثانية فهي الآخذة بالاجتهاد وأدلته كالقياس وغيره ، وهي التي كتب لها البقاء الآن .

الـمهم في الأمر أن المدرستين ظهرتا بشكل ملحوظ عقب ا يار الدولة الصفوية في بداية القرن الثاني عشر تقريباً ، وقامت بينهما مناظرات طويلة واصطدامات عنيفة أدت إلى تصدي ا تهد آغا محمد باقر البهبهاني (ت ١١١٧) مؤسس المدرسة الأصولية للـمدرسة الأخبارية[1] ، وإفتائه بتكفير أتباعها . ثـم قام بالتنقل بين المدن والقرى برفقة حرسه الخاص لـمطاردة ومناظرة و « تصفية » المعارضين من المدرسة الأخبارية[2] ، حتى لـم يبق إلا الأصوليون أو الأخباريون المعتدلون.

وبعد هذا العرض الموجز نسلط الضوء على تطور المدرسة الأخبارية ، إذ هي المدرسة الأقدم والسابقة منهما:

---

(١) من المهم ذكره أن هذا ا تهد قام بتنظير ووضع أسس وظائف ا تهد والاجتهاد، والذي قام بنشر هذه المدرسة هو العلامة الشيخ أحمد الأحسائي (ت ١٨٢٥). انظر « دليل الخليج » للـمستشرق لوريمر (٦: ٣٣٧١ - ٧٢) ونحيل القارئ عليه نقلا عن كتاب الباحث سعد الأنصاري ((الفقهاء حكام على الملوك.. علـماء إيران من العهد الصفوي حتى العهد البهلوي ١٥٠٠ م - ١٩٧٩ م)) .

(٢) ينظر هنا كتاب الأستاذ حامد الغار Religion and State in Iran ومعنى عنوانه بالعربية ((الدين والسياسة في إيران)) ، وكتاب ((مبهمات الشريعة الغراء)) في الرد على مزاعم الأخبارية للعلامة الشيخ جعفر كاشف الغطاء.

المــرحلة الأولى: الولادة ، وكانت على يد الكليني صاحب « الكافي » ، وآراؤه صريحة في حرمة الاجتهاد والتقليد ، ووجوب التمسك بآثار العترة الطاهرة ، ككتب الشيخين الأعلــمين الصدوقين: محمد بن علي ابن بابويه (ت ٣٨١) صاحب « من لا يحضره الفقيه » ، ووالده علي بن الحسين (ت ٣٢٩).

المــرحلة الثانية: النمو ، وقد ظهر فيها العلامة الإستراباذي (ت ١٠٣٦) الذي طعن على الأصولية ، ورد عليه الشيخ جعفر كاشف الغطاء في « الحق المبين » .

المــرحلة الثالثة: مرحلة الاستقرار والاعتدال ، وكانت على يد الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦) والذي أضفى عليها طابع التوسط فجعلها مذهبا وسطا بين الأخباريين والأصوليين[1] .

ينبني على ما سبق: أننا إذا أردنا القول بإمامية المهاجر اقتضى ذلك أن تكون مسانيد آل البيت -سواء « الكافي » أو مسند الصدوق علي بن

---

(١) وانظر في ذلك كتاب د. محمد بحر العلوم « الاجتهاد أصوله وأحكامه » ص١٦٨-١٦٩ .

وهنا نقول: بغض النظر عن التحليل الذي أورده المؤلف في كتابه هذا عن قضية الخلاف بين المدرستين فإن الطابع الغالب على المدرسة الأخبارية هو التمسك بآثار العترة الطاهرة عليهم السلام ، وهو الذي يعنينا في بحثنا هذا عن مذهب الإمام المهاجر .

الحسين أو أي من مسانيد العترة الطاهرة- قد أُلفت وانتشرت حتى وصلت البصرة -على ضخامة حجمها- فتلقاها الإمام المهاجر ونقلها معه إلى حضرموت، كل ذلك قبل عام ٣١٧ تاريخ هجرته .

ثـم يكون الإمام المهاجر هو ناقل هذه الآثار إلى حضرموت وناشرها هناك، فيكون قد نقل الكتاب ومعه الاتجاه الأخباري التقليدي إلى حضرموت والذي تعرض فيما بعد للانقراض في فارس، فيعتبر المنقذ للـمدرسة الأخبارية التقليدية التي أسسها معاصره الكليني أول مراجع التقليد في تاريخ الإمامية بعد غياب الإمام المهدي!

وهذا كله بعيد عن الصحة والواقع التاريخي للاتجاهات والـمدارس خصوصا في تلك المرحلة المبكرة ، وبعيد أيضا عن حقائق ببليوغرافيا المكتبات في حضرموت ، إذ لا يوجد أي أثر لكتابي الصدوقين أو «الكافي» أو نحوها في خزائن البيوتات العلـمية من آل البيت في حضرموت فضلا عن غيرهم من الأسر العلـمية الحضرمية ، كما أن المهاجر أو أحداً من ذريته لـم يتبن المدرسة الأخبارية، ولا أثر لها في سِيرهم وتراجمهم.

وأما من حيث علـم الحديث الذي اشتهرت به ذرية الإمام المهاجر كالـمحدث علي بن محمد ابن جديد[1] فأول ما ظهر عند الإمامية

---

(١) بل اشتهر عن أحفاد الإمام المهاجر عنايتهم بالأسانيد والرواية للحديث النبوي، ومن أهم الوثائق بهذا الصدد جزءٌ حديثي للإمام المحدث علي بن محمد بن

((الأصول الأربعمئة)) التي رواها الرواة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وكلها متأخرة عنه عليه السلام وعن عام ٣١٧ ، قال صاحب كتاب ((دراسة حول الأصول الأربعمئة)) بعد دراسة مستفيضة :

١- اصطلاح ((الأصل)) هذا ظهر عند علـماء الإمامية في القرن الخامس.

٢- اضطربوا في محاولة فهم معنى كلـمة ((الأصل)) وكل أقوالهم في ذلك إنما هي حدس وتخمين كما صرح بذلك السيد محسن الأمين .

٣- الغالب أن معناها ((الحاوي للأحاديث المروية عن الإمام جعفر الصادق)) من تأليف الرواة عن الإمام الصادق .

٤- أن أعيان الأصول هذه قد أُهملت نظراً لاحتواء الكتب الأربعة وجوامع الحديث لهذه الأصول ، ولأجل ذلك استغنى المحدثون عن الأصول

أحمد بن جديد بن عبيدالله ابن الإمام المهاجر (ت ٦٣٠) روى فيه أربعين حديثا في فضائل الأعمال ، وقد وثق نسبته الحافظ السخاوي وذكره في ((بغية الراوي))، والـمؤرخ المحقق علوي بن طاهر الحداد إذ عزاه إليه السيد ضياء شهاب في تعليقاته على ((شمس الظهيرة)) ، ومنه نسختان مخطوطتان الأولى بخط السيد سالـم بن جندان وعليها سماع الشيخ سعد الظفاري ومعه مجموعة من السادة العلويين على ابن جديد بمكة عام ٦٠٤ ، والنسخة الأخرى -وهي الأوثق- بخط المحدث السيد علوي بن طاهر الحداد.

ويعتزم فرع الدراسات نشر هذا السفر النفيس قريبا إن شاء الله ، والـمتأمل له ولأسانيده يجد رجاله جميعا -وفيهم من آل البيت- من أهل السنة.

بأعيا ا لوجود مضامينها في الكتب الأربعة المتأخر تأليفها زمناً عن تأليف الأصول . اهـ .

ثـم نقل عن علـماء الإمامية قولهم: إن الكتب الأربعة أحسن ما ألف في الحديث .

والحاصل ضياع هذه الأصول أعياناً بعدم خدمتها وإهمالها مما يثبت عدم استقرار ((علـم الحديث وجهود علـماء الإمامية الاثني عشرية في تدوينه وانتشاره)) قبل عام ٣١٧ على الأقل[١] .

أضف إلى أن شراح ((الكافي)) مثلاً وغيره من كتب الحديث ممن خدموا أحاديثه جاؤوا في فترة متأخرة جداً عن عام ٣١٧ ، ومنهم -فيما وقفنا عليه- ا لمسي صاحب ((بحار الأنوار)) (ت ١١١٠) فقد شرحه في ٢٥ مجلداً[٢]، هذا فضلا عن كتب الفقه المدلل ((كالذريعة إلى وسائل الشيعة)) مثلاً للحر العاملي (ت١١٠٤) التي تأخرت هي الأخرى .

وحاصل هذا أنه لـم تكن هناك مؤلفات انتشرت في تلك الآونة في هذا الفن قبل عام ٣١٧ على الأقل .

---

(١) للاستزادة في بعض هذه النقاط انظر ((الكليني وخصومه)) لعبدالرسول غفار ص٥٣ .

(٢) المرجع السابق ، وشرحه هذا لا زال مخطوطا ، ولـم نقف بعد على ما إذا كان قد تعرض لتخريج رواياته جميعها ونقدها كما فعل محدثو أهل السنة أم لا.

نعم.. قد ذكر ابن النديم في ((فهرسته)) وغيره من المؤرخين مجموعةً من الشخصيات التي اعتنت بالحديث وتدوينه ونسبوا إلى أصل التشيع العام -وليس إلى الاثني عشرية- ممن سبق البخاري ومحدثي أهل السنة وصنف فيه مصنفات ذكر ا الكتب ، وممن درس ذلك باستفاضة الباحث هاشم معروف الحسيني في كتابه ((دراسات في الحديث والـمحدثين)) ؛ ولكن الذي يعنينا هنا المصنفات التي كُتب لها الانتشار في تلك الحقب المبكرة والبقاء كالكتب الأربعة، ووضوح انتساب مؤلفيها إلى المذهب الاثني عشري، إذ هم مصنفو أمهاتِه.

ويستفاد من الدراسة التي أجراها صاحب كتاب ((الفقهاءُ حكّام على الملوك - علـماءُ إيران من العهد الصفَوي إلى العهد البهلَوي ١٥٠٠م-١٩٧٩م)) الباحث سعد الأنصاري ص٣٨-٤٥ أن المذهب الإمامي لـم يظهر تماماً ويبدأ في الانتشار إلا مع الدولة الصفوية التي ظهرت متأخرة في القرن الثامن .

ولو افترضنا تمذهب الإمام المهاجر ذا المذهب -وسيكون ذلك بالطبع في القرن الثالث بدايةِ حياته- فإن ذلك يمكن تقبله لو كان مقيماً بطُوس أو نحوها من بلاد فارس ، أما وقد أقام بالبصرة المليئة بأئمة أهل السنة -خصوصا المالكية والفرق الصوفية[1] - فإن ذلك الاحتمال يضعف كثيراً.

---

(١) راجع كتاب ((الإمام المهاجر)) لضياء شهاب ص٣٥-٣٦ .

خصوصاً وأنه من المعلوم في علـم الطبقات أن غالب المذاهب في القرن الثالث كانت في طور النقل ، وكل من تبناها في تلك المرحلة اعتبر من رواد المذهب وترجم له في كتب طبقات مذهبه سواء كان ممن صنف الكتب أو ممن خرج التلاميذ .

وبعد هذا العرض يتبين لنا ضعف احتمال كون الإمام المهاجر قد تمذهب بمذهبٍ ما خلال تلك الفترة المبكرة من حياة المذاهب ، خصوصا المذهبين الشافعي والإمامي .

لذا فالقول الذي قدمناه من كونه مجتهدا هو الأقرب ، والله أعلـم.

فرع الدراسات وخدمة التراث
٢٠ ربيع الأول ١٤٢٠

الفهرس